عصام العطار

التلميذ الناشئ والشيخ الحكيم

(الجزء الأول)

الطبعة الشبكية الثانية

محرم / ١٤٣١ هجري

كانون الثاني / يناير ٢٠١٠ ميلادي

نسخة مزيدة ومنقحة

الناشر : الدار الإسلامية للإعلام

جميع الحقوق محفوظة للدار الإسلامية للإعلام

Copyright © 2010, I.I.D e.V.
All Rights Reserved

© Islamischer Info. Dienst Verlag

العنوان

I.I.D e.V.
P.O.Box: 100810
D-52008 Aachen
Germany

Tel: + 49 241-538373
Fax: + 49 241-538887

Email: iid@iid-alraid.com
Website: www.iid-alraid.com

2. Auflage, 01.2010

بسم الله الرحمن الرحيم

التلميذ الناشئ والشيخ الحكيم

– الجزء الأول –

كتاب الرائد –7–

عصام العطار

كتاب الرائد -7-

الطبعة الأولى:

ربيع الثاني 1407هـ

كانون الأول / ديسمبر 1986م

الطبعة الشبكية الثانية :

محرم 1431هـ

كانون الثاني / يناير 2010م

نسخة مزيدة ومنقحة

الناشر : الدار الإسلامية للإعلام

© *Islamischer Info. Dienst Verlag*

العنوان

I.I.D e.V.
P.O.Box: 100810
D-52008 Aachen
Germany

Tel: + 49 241-538373
Fax: + 49 241-538887

Email: iid@iid-alraid.com
Website: www.iid-alraid.com

2. Auflage, 01.2010

المحتوى

مقدمة	7
طبيعتانِ ونظرتانِ إلى الأمور	8
من كلمات الأستاذ عصام العطار	9
كلّ قومٍ خالقُو نيرونهم	10
متى تتحرّر الشعوب؟	10
كلام النبيّين وأفعال الجاهليّين	11
كتاركةٍ بيضها في العراء	11
لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق	12
الحاكم الماكر والكاتب الحرّ	13
التخلي عن العمل الإسلامي	14
هل رأيت عمله؟..	14
يُظهر خلاف ما يُبطن	15
أوهامُ صاحبِ العيوب	16
تناقض!..	16
غنيٌّ بالمال فقيرٌ من المروءة	18
أسوأُ من العبد الصريح!	18
ما أحقرَ هذه الأنفس!	19
ماذا سيقول التاريخ؟!	19

الوفاء والجحود	20
متى نستطيع أن نبلّغ العالم دعوتنا؟	21
متى يهتّم عالَمنا بنا؟	22
لو صلح حكّامنا لصلح مَن دونهم	22
اللصوص الكبار واللصوص الصغار	23
هل يذلُّ المؤمن للطاغوت؟!	24
دموع عمر بن عبد العزيز	25
تنازل!	26
في التنازل الإسرائيليّ أيضا!	26
الطلائع الإسلاميّة	27
كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلّم	28
يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك	29
مشكلة نوعيّة لا مشكلة كميّة	30
أعجب من هؤلاء	31
إلى متى تُظلَم شعوبنا؟!	32
ما أعظم من صنعهم الإسلام	33
ما أخشاه من الغياب الإسلاميّ!	34
هم الضحيّة لحركة التاريخ	35
إذا اجتمع صَغار العقول والنفوس	36

إلى الحكّام الظالمين	36
يستبطئون نصر الله!	37
كفى بالمرء خيانةً وظلماً وفسادا..	38
السادات وعلماء مصر	38
طريق الحياة الحقيقيّة الكريمة	40
حلمٌ وغفران	41
عتب الأصدقاء وغضب الأعداء	42
كراهية المنحرفين للمستقيمين	43
سيّد الجزيرة	43
جيلٌ جديد يتجاوزنا في كلّ شيء	44
رجالٌ في حقيقتهم على مستوى الأمل	45
وطّن نفسك على الصبر والعفو	46
الجود بالمال والجود بالنفس	47
صَغار النفوس	48
لله درُّ الليالي	49
إذا صحّ منك الودّ فالكلُّ هيّن	50
الأسماء والعناوين والمناهج والقيادات	51
أشدُّ ضلالا	51
العنوان والمضمون	52

لو ...	52
مصارع خيار الناس	53
موقف عظيم ودرس عظيم	53
الإمَّعات والإمرَّات وبنات الجبل	54
القول والعمل	55
لو بقي لمسلمي هذه الأيام	56
العرب في جاهليّتهم الجديدة	56
أوّل الطريق	57
هل يتدبّرون هذا الوعيد؟	59
القلوب والأعمال.. لا الصور والأموال	60

مقدّمـــة

لقد كتبتُ ما كتبتُ بعنوان: «التلميذُ الناشئُ والشيخُ الحكيم» ليؤدِّيَ دوراً جزئيّاً وقتيّاً، ونَشَرَتْ أكثرَه «الرائدُ» بتوقيعٍ مستعار، و لم أكن أفكّرُ وقتَها أو أُحَبِّذُ أن يُنْشَرَ في كتابٍ مستقلّ

أمّا الأفكارُ في هذا الكتاب فهي أفكاري، فأنا لا أَخُطُّ بيدي إلاّ ما أراه وأقدِّر فيه النفع، وإن أخطأتُ في التقدير والأداء

وأمّا الشكْلُ الذي عُرِضَتْ به الأفكار، فهو شَكْلٌ قد سبقني إليه غيري، وكم وَدِدْت -لأكثر من سبب- أنّني لم أَتّخِذْهُ وسيلةَ للبيان، ولكنْ هكذا كان، فقد بدأتُ به ذاتَ يومٍ دونَ سابقِ تخطيط، ثمَّ تابعتُه استجابةً لرغباتِ العديدِ من القرّاء

وإنّني لأرجو الله عزَّ وجلَّ -وقد اجتهدتِ الدارُ الإسلاميّةُ للإعلام في أن تُخْرِجَ هذا العملَ البسيطَ المتواضع للناس- أن يكونَ فيه بعضُ ما قدَّرَتْه من القيمة والنفع، وأن يغفرَ اللّهُ لكاتبه ما وقع فيه أو في غيره من الخطأ، وأن يوجدَ في قرّائهِ الشبابِ من يقدّمُ لنا -إنْ شاء الله- ما هو أفضل منه في الشكل والمضمون

والحمدُ لله ربِّ العالمين

عصام العطار

طبيعتانِ ونظرتانِ إلى الأمور

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– يقولون عنك مستعجبين: لقد تقدّمتْ به السنُّ وما يزالُ يفكّرُ بمنطقِ الشباب، ويتحدّثُ بلغةِ الشباب، ويكتبُ بحماسةِ الشباب!.. أمَا آنَ لحماستهِ المتّقِدةِ أن تَفْتُر، ولآمالِه الواسعةِ أن تَضيق، ولأهدافِه البعيدةِ أن تقترب بما يُناسبُ سِنَّه وصحَّتَه، وما بَقِيَ لأمثالِه من العمر

قال الشيخُ الحكيم:

– إنّني عندما أفكّرُ للإسلام والمسلمينَ لا أفكّرُ لهم في حدود سِنّي وصحّتي وعُمُري، ولا أحبِسُ أهدافَهم في حدودِ طاقتي وقدرتي وحياتي وموتي، وإنّما أفكّرُ لهم في حدودِ الإسلام وما يطلبُه الإسلامُ في الحاضرِ والمستقبل

إنّ أهدافي البعيدةَ هي أهدافُ الإسلامِ والمسلمينَ جميعا.. وما لا أستطيعُ تحقيقَه بنفسي يُحَقِّقُه غيري، أو تحقّقه الأجيالُ المقبلةُ من بعدي.. وحَسْبي أن أؤدّيَ بإخلاصٍ دوريَ الذي أستطيعُ أداءَه في العملِ الإسلامي الشاملِ المنبسطِ في المكان، الممتدِّ في الزمان، الذي يجبُ أن تتكاملَ فيه الجهودُ كلُّها في العصر الواحد، وعَبْرَ سائرِ العصور

أمّا أن أجعلَ نفسي هي الأصل لا الإسلام، وأُحَدِّدَ بظروفي الخاصّةِ أهدافَ الإسلام والمسلمينَ، وآمالَ الإنسان.. فأنانـــيَّةٌ وانتهازيَّةٌ واستغلال، وخيانةٌ لله، ولرسوله، وللمسلمين، ولسائر الناس

من كلمات الأستاذ عصام العطار

✧ إذا غَدَتِ المنارةُ الهاديةُ في البحرِ أداةَ خِداعٍ وتضليل.. فكيف تهتدي بها السُّفُنُ الْمُدْلَجَة، وتنجو بها من الضلالِ والهلاك؟!

✧ يريدُ أقزامُ النفوسِ أن نُصَغِّرَ لَهُمُ الإسلامَ لِيَتَلاءَمَ مع قاماتِهم.. لا أن يُكَبِّروا هم أنفسَهم حتّى يتلاءموا مع الإسلام

✧ قُلِ الحقَّ بشجاعةٍ يستجبْ لك أهلُ الحقِّ عندما يتبيّنون فيكَ الصدقَ والإخلاص.. أمّا أهلُ الباطلِ فالأفضلُ لك أن يبتعدوا عنك

✧ ما أضيعَ كلماتِنا إذا لم تَجِدِ الأُذُنَ التي تَعي، والقلبَ الذي يَعْقِل، والإرادة التي تُحَوِّلُ الاقتناعَ والشعورَ إلى عمل

كلُّ قومٍ خالِقُو نَيْرونِهم!

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– ألاَ تَعْجَبُ لبعض حكَّام المسلمين كيف يتمادَوْن في الطغيان، ويتجاوزنَ به الحدود؟

قال الشيخُ الحكيم:

– بل أَعجَبُ لتمادي شعوبِنا في الخضوع والخنوع، فلولا هذا لما كان ذاك

كلُّ قومٍ خالِقُــو نَيْرُونِهم قَيْصَرٌ قِيلَ له أم قِيلَ كِسرى

متى تتحرَّر الشعوب؟

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– متى تتحرّرُ شعوبُنا من العبوديّة للطغاة وفي أيديهم النارُ والحديد، وليس في أيديها شيء؟

قال الشيخُ الحكيم:

– عندما يكونُ فيها من يقولُ للطاغيةِ المتألّهِ ما قاله السَّحَرَةُ الذينَ آمنوا لفرعون:

﴿...لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [طه:72]

كلامُ النبيّين وأفعالُ الجاهليّين

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– ما بالُ بعضِ حكّامِ المسلمينَ يتحدّثون عن الإسلامِ حديثَ النبيّين، وهم يحاربونَه حَرْبَ الجاهليّين، أو يُعينونَ من يحاربونَه على كلّ صعيد؟

قال الشيخُ الحكيم:

– لا تَغْتَرَّ يا بُنَيَّ بأقوالِ هؤلاء، وانظرْ إلى أفعالهم، وتَذَكَّرْ عندما تستمعُ إليهم قولَ الشاعر:

كلامُ النبيّينَ الْهُداةِ كلامُنا وأفعالَ أهلِ الجاهليّةِ نفعلُ

كتاركةٍ بَيْضَها في العرَاء

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– ألاَ تستغربُ ما يفعلُه بعضُ حكّامِنا من إنفاقِ الملايينِ والملياراتِ في مساعدةِ الغربِ على زيادةِ نموّهِ وتقدُّمهِ ورفاهيته.. وبلادُنا –نحن المسلمين– تمثّلُ التخلّفَ، وتشتكي العَوَزَ والحاجةَ أحياناً إلى أبسطِ ضروراتِ الحياة، فهل رأيتَ مثلَ هذا أو سمعتَ به من قبل؟

قال الشيخُ الحكيم:

– نعم يا بُنَيّ! تلك النعامةُ التي تحضنُ بَيْضَ غيرِها وتُضيعُ بيضَها، والتي ذكرَها ابنُ هَرْمةَ الشاعرُ فقال:

كَتارِكَةٍ بيْضَها بالعَراءِ ومُلْحِفَةٍ بيْضَ أُخرى جَناحا

لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالق

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– بماذا أجبتَ الموظّفَ الكبيرَ الذي سألكَ عمّا يمكنُ أن يفعل، والحاكمُ المنحرفُ الظالمُ يكلّفُه من الانحرافِ والظلمِ ما لا يقبلُه الدينُ ولا الضمير، وهو لا يستطيعُ أن يخالِفَه خوفاً على وظيفتِه ونفسِه؟

قال الشيخُ الحكيم:

– بما أجابَ به الحسنُ البصريُّ عمرَ بنَ هُبَيْرة..

قال التلميذُ الناشئ:

– وبماذا أجاب الحسنُ ابنَ هُبَيْرة؟

قال الشيخُ الحكيم:

– كتب ابنُ هبيرةَ إلى الحسنِ وابنِ سِيرينَ والشعْبِيِّ فَقُدِمَ بهم عليه، فقال لهم: إنّ أميرَ المؤمنينَ يكتبُ إليَّ في الأمرِ، إنْ فعلتُه خِفتُ على ديني، وإن لم أفعلْه خفتُ على نفسي؛ فقال له ابنُ سيرينَ والشعبيُّ قولاً رَقَّعا فيه، وقال له الحسن:

يابنَ هُبَيْرة، إنّ الله يَمْنَعُكَ (أي يحميك) مِنْ يَزيد، وإنَّ يزيدَ لا يمنعُك من الله

يابنَ هُبَيْرة، خَفِ اللّهَ في يزيدَ، ولا تَخَفْ يزيدَ في الله

يابنَ هُبَيْرة، إنّه يوشِكُ أن يبعثَ اللّهُ إليكَ مَلَكاً فيُنْزِلَكَ عن سريرِك إلى سَعَةِ قَصْرِك، ثمَّ يُخْرِجَك، عن سَعَةِ قصرِك إلى ضِيقِ قبرِك، ثمَّ لا يُنْجيك إلاّ عملُك.

يابنَ هبيرة، إنَّه لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالق

قال التلميذُ الناشئ:

– فما أحرى هذا الجوابَ أن يصلَ إلى كلّ موظّفٍ كبيرٍ أو صغير، وإلى كلّ فردٍ من الأفراد يسأل –أو يتساءلُ بينَه وبينَ نفسه– هذا السؤال، ويقفُ أحياناً قليلةً أو كثيرةً مَوْقِفَ التردّدِ بينَ دينهِ ودنياه أن وطاعةِ الحاكمِ المنحرفِ الظالمِ أو طاعةِ الله.

الحاكمُ الماكرُ والكاتبُ الحرّ

قال الحاكمُ الماكرُ للكاتبِ الحرِّ وهو يُبدي له تقديرَه وإعجابَه:

– إنّني أقرأُ كلَّ كلمةٍ تنشرها في الصحف والمجلات..

ورجع الكاتبُ الحرُّ إلى بيتهِ بعدَ اللقاء، وأمسكَ القلمَ ليكتبَ فإذا به يرى الأمورَ رُؤْيَةً جديدة، يراها بعَيْنَيِ الحاكمِ الماكرِ لا بعينيْ نفسه، ويقيسُها بما يعجبُ الحاكمَ أو لا يعجبُه، وبما يُرضيه أو يُسْخِطُه، لا بما هي عليه منَ الحقِّ أو الباطل، ومنَ الصوابِ أو الخطأ، ومنَ الجمالِ أو القُبح، ومن الخير أو الشرّ كما تعوَّد

وأتمَّ الكاتبُ مقالَه الطويل، ونظر فيه بعدَ الفراغِ منه، فإذا به لا يرى فيه نفسَه ولا رأيَه ولا ضميرَه، ولكنْ يرى فيه الحاكمَ ورغبتَه وشهوتَه ومصلحتَه وما يريدُ أن يُذاعَ في الناس

وأمسك الكاتبُ الحرُّ بقلمهِ العتيدِ وكسرَه بكلتا يَدَيْهِ وهو يقول:

خَيْرٌ لي ألاّ أكتب، وخيرٌ لهذا القلمِ أن يموت، من أَفقدَ به ذاتي، وأتحوّلَ به إلى مجرّدِ مرآةٍ لا شخصيّةَ لها، تعكسُ أهواءَ الحكّامِ وما يندفعونَ فيه من الباطل، بَدَلَ أن تكونَ كتابتي صورةً نقيّةً لذاتي، وتعبيراً صادقاً عن شخصيّتي، وعمّا أؤمنُ به من الحقِّ والعدلِ والخير.

التخلّي عن العمل الإسلامي

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– ما قولُك فيمن يتخلَّوْنَ عن العملِ الإسلاميّ هذه الأيام، وينصرفون عنه إلى شؤون الدنيا؟

قال الشيخُ الحكيم:

– إنّ التخلِّيَ عن العملِ الإسلاميِّ هذه الأيام بالذاتِ هو تَخَلٍّ عن الإسلامِ نفسِه، وإسهامٌ في هزيمتهِ وانتصارِ أعدائهِ عليه.. ولا يفعلُ ذلك مسلمٌ صادقُ الإسلام، ولا رجلٌ عندَه ذرَّةٌ من الغَيْرَةِ والْمُروءةِ والوفاء

قال التلميذُ الناشئ:

– فإنّهم يدَّعونَ أن لهم أسباباً في تركِ العمل

قال الشيخُ الحكيم:

– فالسبيلُ إذن هو معالجةُ هذه الأسبابِ المانعةِ أو العائقةِ، لا تركُ العمل، وإذا ضاق على العامل المخلصِ مجالٌ فأمامَهُ مائةُ مجال، وإذا انسدَّ عليه طريقٌ فأمامَه مائةُ طريق.. ولن تضيقَ مجالاتُ العملِ أو تنسدَّ طرقُه على عمالقةِ العقيدةِ الذينَ يرتفعونَ إلى مستوى إسلامِهم، مستوى مسؤوليتِهم، ويُصَمّمونَ تصميماً قاطعاً على أن يربحوا معركَةَ الإسلامِ أو يموتوا دونَ ذلك.

هل رأيتَ عَمَلَه؟..

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– لقد أعجبني فُلانٌ عندما استمعتُ إليه

قال الشيخُ الحكيم:

- فهل رأيتَ عملَه؟

قال التلميذُ الناشئ:

- لا

قال الشيخُ الحكيم:

- فإنَّ عليكَ أن ترى عملَه أيضاً فكثيرونَ همُ الذين

إذا نَهَضُوا لِلْقَوْلِ قالُوا فأَحْسَنُوا ولكنَّ حُسْنَ القَولِ خالفَهُ الفِعْلُ

يُظهر خلافَ ما يُبطن

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

- لماذا لا نستطيعُ أن نَحْكُمَ على الإنسان حُكْماً قاطعاً بما يُظْهِرُهُ دونَ اختبارٍ له على الزّمنِ وتَبَدُّلِ الظُّروف

قال الشيخُ الحكيم:

- لأنَّ الإنسانَ هو الحيوانُ الوحيدُ الذي يستطيعُ أن يُظْهِرَ خِلافَ ما يُبْطِن.

أوهام صاحب العيوب

– قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

ما بالُ فلانٍ (منَ الكُبَراء!) يظنُّ كلَّ نقدٍ تنشرُه «الرائدُ» تعريضاً به أو هجوماً عليه؟!

قال الشيخُ الحكيم:

– لأنَّ فيه من كلِّ العُيوبِ التي تنقدُها «الرائدُ» وإن لم تَقْصِدُه.

تناقض!

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– أليس اللّهُ عزَّ وجلَّ يقول: ﴿... **أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**...﴾ [المائدة:54] ويقول: ﴿... **أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** ...﴾ [الفتح:29]

قال الشيخُ الحكيم:

– بلى، فماذا تُريدُ أن تقول؟

قال التلميذُ الناشئ:

– فإنّني ما رأيتُ –في تجربتي المحدودةِ منذُ وَعَيْت– أذلَّ ولا أَلْيَنَ مِنْ مُسْلِمي هذه الأيّامِ على الكافرين، ولا أعزَّ وأقسى منهم على المؤمنين

قال الشيخُ الحكيم:

– فإنَّ هذا يَكْشِفُ لك التناقضَ العميقَ بينَ حقيقةِ الإسلامِ وبينَ واقعِ المسلمينَ ومن يحملونَ عنوانَه في هذا العصر، ويضعُ يدَكَ بالتالي على سِرِّ تَدَهْوُرِ المسلمينَ الذي تراه

قال التلميذُ الناشئ:

– فما ذكرتُه لك إنما هو جانبٌ واحد

قال الشيخُ الحكيم:

– ولكنَّه يُعطيك فكرةً مقاربةً عن بقيَّةِ الجوانب

قال التلميذُ الناشئ:

– فماذا يجبُ علينا أن نعمل؟

قال الشيخُ الحكيم:

– أن نُزيلَ هذا التناقضَ القائم، وأن نُعيدَ التطابقَ بينَ إسلامِنا وبينَ حياتِنا كلِّها على سائرِ المستوياتِ، وفي مختلف المجالات

قال التلميذُ الناشئ:

– إنّها لَمُهِمَّةٌ صعبةٌ في هذا العالم الإسلاميّ الكبير، وفي هذه الظروف والأوضاع

قال الشيخُ الحكيم:

– فلنبدأْ بأنفسِنا يا بنيّ، ففي أنفسنا يكونُ التحوُّل، ومنها يبدأُ الطريق.. فإذا نجحنا في هذه الخطْوة الأساسيّةِ سَهُلَ علينا الباقي

غنيٌّ بالمال فقيرٌ من المروءة

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– إنّي لأَعْجَبُ لِفلان.. كيفَ يقبضُ يدَه عن الخيرِ كأفقرِ الفقراءِ، وقد آتاه اللّهُ من الكنوزِ ما يجعلُه من أثرى الأثرياء؟!

قال الشيخُ الحكيم:

– لا تعجبْ يا بنيّ، فقد يكونُ الإنسانُ غنيّاً بالمالِ من المرُوءة.. ألَمْ تقرأْ من قبلُ قولَ المتنبيّ:

وَرُبَّ مالٍ[1] فقيرٍ مِنْ مُروءَتِه لم يُثْرِ مِنْها كما أَثْرى مِنَ العَدَمِ

أسوأ من العبد الصريح!

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– هل رأيتَ أسوأَ من فلان، الذي تحوّلَ على الزمنِ عبداً صريحاً للطاغوت، وطالما تَغَنَّى بالحريّةِ والكرامةِ والتمرّدِ على الطاغوت؟!

قال الشيخُ الحكيم:

– أسوأُ منه فلانٌ الذي تحوّلَ هو الآخرُ عبداً للطاغوتِ كَتَحوُّلِهِ أو أشدّ .. ولكنّه راح يُفَلْسِفُ واقعَه الجديد، ويلتمسُ له المبرّرات الكاذبة، ويُلْبِسُه ثوباً زائفاً من الاقتناع والمصلحة .. فأضاف إلى حقارةِ العبوديّةِ رذيلةَ الازدواجيّةِ والمخادعةِ والكذب

---

(1) أي صاحب مال.

ما أحقرَ هذه الأنفُس!

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– ما أعظمَ هذه الدنيا في أنفُسِ بعضِ الناس!.. يعبدونها من دونِ اللهِ عزَّ وجلَّ، ويكفرونَ من أجلِها بالحقّ والواجب، ويدوسونَ في سبيلها الكرامةَ والوفاءَ وكلَّ القِيَم

قال الشيخُ الحكيم:

– بل ما أحقرَ هذه الأَنْفُسَ التي تَعْظُمُ فيها الدنيا إلى هذا الحدِّ، وهي لا تَعْدِلُ عندَ اللهِ جَناحَ بعوضة!

ماذا سيقول التاريخ؟!

قال رجلٌ في مجلسِ الشيخِ الحكيم:

– ماذا سيقولُ التاريخُ يا تُرى في الثناءِ على فلانٍ من الحكّامِ وقد أمسكَ بزمامِ السلطةِ في شعبهِ العريقِ هذا الزمنَ الطويل؟

قال رجلٌ آخرُ في مجلسِ الشيخ:

– بل ماذا سيقولُ التاريخُ في هجاءِ هذا الشعبِ العريقِ الذي أمسكَ بزمامِ السلطةِ فيهِ مثلُ هذا الحاكم؟

فقال الشيخُ الحكيمُ وقد تَوَجَّهَتْ إليه الأنظار:

– إنّ التاريخَ سيسكتُ على كلِّ حالٍ بعدَ زمنٍ يَقْصُرُ أو يطول، وسينقطعُ ثناؤه وهجاؤه على السواء، ولن ينفعَ الإنسانَ أو يضرَّه إلاّ ما سيلقى به اللّهَ عزَّ وجلَّ من عملهِ الحقيقيّ

﴿ **يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَاد** ﴾ [آل عمران:30]

الوفاء والجحود

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– ودِدْتُ البارحةَ لو كنتُ شاعرا

قال الشيخُ الحكيم مبتسما:

– ولِمَ؟

قال التلميذُ الناشئ:

– لأُصَوِّرَ بالشعرِ ما ثارَ في نفسي من خواطرَ ومشاعرَ وأنا أسمعُ في مجلسك أخبارَ فلانٍ الذي استقامَ على طريقِ الحقِّ فلم ينحرفْ مع الدنيا إلى يسار أو يمين، فتخلّى عنه طلابُ الدنيا الذينَ كانوا يلازمونَه ملازمةَ الظِلِّ، عندما كانتِ المطالبُ والرغائِبُ تُنالُ بملازمته، وإظهارِ محبّتهِ ومُناصَرَتِه. وتأمّلتُ كيفَ يتحوَّلُ الصديقُ عنِ الصديق، والشقيقُ عن الشقيق، إذا تحوَّلت عنه حُظوظُ الدنيا، و لم يَعُدْ سبيلاً إلى مكاسبها، أو أصبحتْ صداقتُه أو أخوَّتُه حائلاً دونَ هذه المكاسب.. لقد فكّرْتُ في هذا البارحةَ فأطلْتُ التفكير، وتأمّلْتُ فأطلْتُ التأمُّل، وتأثَّرْتُ لانعدامِ الوفاءِ فغلَبني التأثر، فتمنَّيْتُ في تلك اللحظةِ لو كنتُ شاعراً لأُعَبِّرَ عمَّا يَعْتَلِجُ في نفسي

قال الشيخُ الحكيم مازحا:

– فقد كَفَاكَ بعضَ ذلك أبو فراسٍ عندما قال:

تَناســـانِيَ الأصْـــحَابُ إلاّ عِـــصابةً ... سَتَلْحقُ بـــالأُخْرَى غَـــداً وتَحـــوُلُ
وَمَنْ ذا الذي يَبْقى على العَهْد إنَّهُـــمْ ... وإنْ كَثُـــرتْ دعـــواهُمُ لَقليـــلُ
أُقلِّبُ طَرْفِي لا أَرى غـــيرَ صـــاحبٍ ... يَميلُ مـــع النَّعْمـــاءِ حَيْـــثُ تَميـــلُ

قال التلميذُ الناشئ:

– فهل أنتَ على رَأْيِ أبي فراسٍ في هذه الأبيات؟

قال الشيخُ الحكيمُ جادّا:

– كلاَّ يا بُنَيّ! إنّ الوفاءَ موجودٌ في هذه الدنيا، وإن كان لا يَتَمَثَّلُ في كلّ الناس، ولا يكونُ على درجةٍ واحدةٍ في كلّ النفوس.. ولَئِنْ رأيتُ مَنْ يخونُ العهدَ فقد رأيتُ من يُقيمُ على العهد، ولَئِنْ عرفتُ من يميلُ مع النعماءِ فقد عرفتُ أيضاً من يُضَحِّي من أجلِ الحقِّ والأُخُوَّةِ والوفاءِ بالنعماء.. وتجاربُ الزمنِ هي التي تكشفُ هؤلاءِ وهؤلاء.. فلا يَغْلِبَنَّكَ اليأسُ على الأمل ، والتشاؤمُ على التفاؤل، فالخيرُ على درجاتِهِ المختلفةِ باقٍ إلى يومِ القيامةِ. والمسلمُ الحقُّ بعدَ ذلك كلِّه، لا يُغَيِّرُهُ ولا يُخْرِجُهُ عن نَهْجِهِ وفاءٌ ولا جُحود، ولا يطلبُ ولا ينتظرُ جزاءً إلاّ من الله عزَّ وجلَّ، ولا ينثني ولا يتوقّفُ عن غايتِهِ ولا تخلّى عنه سائرُ الناس.

متى نستطيع أن نبلِّغ العالم دعوتَنا

قال التلميذُ الناشئُ لشيخِهِ الحكيم:

– متى نستطيعُ أن نُبَلِّغَ العالَمَ دعوتَنا؟

قال الشيخُ الحكيم:

– عندما يوجدُ فينا رجالٌ على مستوى أن يستمعَ إليهم العالَمُ على كلّ صَعيد، وعلى مستوى أن يُؤَثِّروا في فكرِهِ وشعورِهِ وضميرِهِ بأفضلِ الأساليب

قال التلميذُ الناشئ:

– ومتى يكونُ ذلك؟

قال الشيخُ الحكيم:

– عندما نرتفعُ إلى مستوى إسلامِنا ومهمَّتِنا وعالمِنا وعصرِنا، وعندما نسمحُ بل نخطّطُ ونعملُ ليكونَ عندنا هذا المستوى المنشودُ من الرجالِ في كلّ مجال، ونمتلكُ ما يَلْزَمُنا من وسائلِ التبليغِ والإقناع والتأثير.

متى يهتمُّ عالمنا بنا

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– متى يهتمّ عالمنا بنا، ويستمع لما نقول؟

قال الشيخُ الحكيم:

– عندما نكتسبُ احترامَه ونصلُ إلى التأثير في حياته سَلْباً وإيجاباً في الحاضر والمستقبل

قال التلميذُ الناشئ:

– وأينَ نحنُ من ذلك؟

قال الشيخُ الحكيم:

– قريبونَ بالإخلاصِ والعلمِ والوعيِ والعزمِ الصادقِ والعملِ الدائبِ الجادّ، وبعيدونَ ونحنُ على هذه الحال.. فالأمرُ بأيدينا نحن بالدرجةِ الأولى و ﴿... **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ...﴾ [الرعد:11]

لو صلَح حكَّامنا لصلَح مَن دونَهم

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– لقد عمَّ بلادنَا الفسادُ، وكثرتِ الاختلاساتُ –كما تروي الصحفُ باستمرار– وأصبحتِ الرشوةُ أمراً عاديّاً يجري به التعامل، ولا يثيرُ أيَّ استغرابٍ أو استنكارٍ جدِّيّ.. ونحن ننحدرُ من سيّءٍ إلى أسوأَ كلَّ يوم

قال الشيخُ الحكيم:

– إنّ هذا كلَّه في واقعنا الراهنِ أمرٌ طبيعيّ.. لقد فسدَ الرأسُ ففسدَ الجسدُ والأطراف.. ولو صلَح حكّامُنا أو المتحكِّمونَ فينا لصلحَ مَنْ دونَهم بالأُسْوَةِ الحسنة، وبالرغبةِ أو الرهبةِ عندَ اللزوم..

«لَمَّا أُتِيَ عمرُ بنُ الخطّاب رضي الله عنه بِتَاجِ كِسْرى وسِوارَيْه، قال:

إنّ الذي أدَّى هذا لأمين!

قال له رجل:

يا أميرَ المؤمنين، أنتَ أمينُ اللهِ يُؤَدُّونَ إليكَ ما أدّيتَ إلى الله تعالى، فإذا رَتَعْتَ رَتَعُوا»

«واطَّلَعَ بعضُ الأمراءِ في بعضِ العُهود على ضَيْعَةٍ له بالغوطةِ فأنكَر منها شيئاً، فقال لوكيله:

ويْحَك! إنّي لأظنُّك تخونُني

قال:

أَفَتَظُنُّ ذلك ولا تَسْتَيْقِنُه؟!

قال: وتَفْعَلُه؟!

قال:

نعم، واللهِ إنّي لأخونُك، وإنّك لتخونُ أميرَ المؤمنين، وإنّ أميرَ المؤمنينَ لَيخونُ اللهَ، فلعنَ اللّهُ شرَّ الثلاثة»

اللصوصُ الكبارُ واللصوصُ الصغار

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– لماذا يريدُ بعضُهم الأخذَ ببعضِ الحدودِ دونَ بقيّةِ جوانبِ الإسلام؟!

قال الشيخُ الحكيم مازحا:

– لأنّهم يريدونَ حِمايةَ اللصوصِ الكبارِ من اللصوصِ الصغار!

قال التلميذُ الناشئ:

- فهل تقولُ بتعطيلِ الحدود؟!

قال الشيخُ الحكيم:

- معاذَ اللهِ يا بُنَيّ! فما يقولُ بذلك مسلمٌ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخر، ويحرصُ على مصلحةِ المجتمعِ الذي يعيشُ فيه.. ولكنّني أقولُ بالأخْذِ بسائرِ جوانبِ الإسلام، فالإسلامُ دينٌ شاملٌ متكاملٌ لا ينفصلُ منه جزءٌ عن جزء، وبأنْ تُقامَ الحدودُ على الفقراءِ والأثرياء، وعلى الضعفاءِ والأقوياء، وعلى الرعيّةِ والأمراءِ على حدٍّ سَواء.. فالرسولُ صلى الله عليه وسلّم يقول:

« **إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدّ. وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا** » رواه البخاري

هل يَذِلُّ المؤمنُ للطاغوت؟!

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

- هل يَذِلُّ المؤمنُ للطاغوت، ويستسلمُ له كما نَرى هذه الأيّام؟!

قال الشيخُ الحكيمُ وهو يَمْلأُ فمَه ويَمُدُّ صوتَهُ بالكلام:

- لا..

ليسَ لِلذُّلِّ حِيلَةٌ في نُفوسٍ يَسْتَوي الموتُ عندَها والبَقَاءُ

فكيفَ إذا كانتْ هذه النفوسُ تُؤْثِرُ الموتَ في سبيلِ الله، على العبوديّةِ لغيرِ الله، وعلى الرّضى أو الحياةِ بغيرِ شريعةِ الله، وترى الشهادةَ -إن كُتِبَتِ الشهادةُ- إحْدى الْحسْنَيَيْن

﴿ **قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ** ﴾ [التوبة:51]

دموعُ عمرَ بن عبد العزيز

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– كم نفتقدُ دُمُوعَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ في عُيونِ أصحابِ المالِ والسلطانِ من حكّامِ المسلمينَ الذينَ يقضون أوقاتَهم في صَفْوٍ ولَهْوٍ ولا يُحِسّونَ بإحساسِ الكادحينَ من الناس

قال الشيخُ الحكيم:

– وما دموعُ عمرَ بنِ العزيزِ التي ألمحتَ إليها يا بنيّ؟

قال التلميذُ الناشئ:

– لقد قرأتُ في بعضِ الكتبِ هذا اليومَ أنّ عمرَ بنَ عبدِ العزيز قام في بيتهِ للصلاةِ مَرّةً فما مَلَكَ عَبْرَتَه.. فسألتْه زوجُه عمّا أبكاه في مُصَلاّه فقال:

«إنّي تقلَّدتُ من أَمْرِ أُمَّةِ محمّدٍ صلى الله عليه وسلّم أسوَدها وأحمَرها.. فتفكّرتُ في الفقيرِ الجائع، والمريضِ الضائع، والعاري الْمَجهُود، والمظلومِ المقهور، والغريبِ الأسير، والشيخِ الكبير، وذي العِيالِ الكثير، والمالِ القليل، وأشباهِهم في أقطارِ الأرضِ وأطرافِ البلاد، فعلمتُ أنَّ ربيّ سائلي عنهم يومَ القيامةِ فخشيتُ ألاَّ تَثْبُتَ لي حُجَّةٌ فبكَيْت»

قال الشيخُ الحكيم:

– فإنّما يفتقرُ حكّامُنا هذه الأيامَ إلى إيمانِ عمرَ بن عبدِ العزيز باللهِ واليومِ الآخر، وإلى علمهِ ووعيه، ويَقَظَةِ ضميرهِ ورَهافةِ شُعوره بمسؤوليّتهِ أمامَ اللهِ عزَّ وجلَّ.. فَمِنْ ذلك الإيمانِ والعلمِ والوعيِ والشعورِ تَنْبَثِقُ تلك الدموع، وتتولّدُ أمثالُ تلكَ الأعمالِ الخالدةِ التي نَهض بها ذلك الرجلُ العظيم

تنازل!

قال رجلٌ في مجلسِ الشيخِ الحكيم:

– إنّ إسرائيل –كما يُذكر– مستعدَّةٌ للتنازل للعرب عن بعضِ الأراضي المحتّلةِ من أجلِ السلام

قال الشيخُ الحكيم:

– إنّ التنازلَ إنّما يكونُ عمّا يملِكه الإنسان، وعمّا يكونُ له من حَقٍّ مشروع، فكيفَ تُسمّي ردَّ بعضِ الأراضي المغتصبة إلى أصحابِها الشرعيّينَ تنازلاً!.. لقد أصبحنا نستعملُ ألفاظَ العدوّ، ونَنْزَلِقُ دونَ شعورٍ إلى المفاهيمِ التي يريدُها العدوُّ مِنْ هذه الألفاظ

قال التلميذُ الناشئ:

– ومع ذلك فالعدوُّ لا يتنازلُ لنا عن شيءٍ من حقّنا أبدا.. إنّه يطلب مقابلَ ما يعيدُه من أرضنا المغتصبةِ منَ الثمنِ الباهظِ ما لا يَطلُبُه إلاّ اليهوديُّ المرابي، وما لا يقبلُه المخلصُ العاقل بحالٍ من الأحوال

في التنازل الإسرائيليّ أيضا!

قال رجلٌ في مجلسٍ آخرَ من مجالسِ الشيخِ الحكيمِ متعجِّباً:

– لا أدري كيفَ لا تَقبلُ أن تُسَمِّيَ تنازلَ إسرائيلَ عن جزءٍ من الأرضِ المحتلّةِ تنازلاً؟! وكيف تَغْرِسُ ذلك في نفوسِ الشبابِ الناشئين؟!.. أما آن الأوانُ لِتناوُلِ هذه الأمورِ بما ينبغي من المنطقِ والإنصاف؟!

قال الشيخُ الحكيمُ بهدوء:

– أرأيتَ يا فلان، لو أنّ لصّاً أو قاطعَ طريقٍ سَلبكَ ألفاً من الليراتِ ثمَّ ردَّ إليك عَشْراً منها على أن تتركَ له الباقي، ولا تطالبَه به في الحاضر والمستقبل، ولا تعملَ على استرجاعِه منه بأيّ وسيلةٍ من الوسائل.. وعلى ألاّ

تُحصِّنَ منه -فوقَ ذلك كلِّه- نفسَك ولا بيتَك، ولا تغلِقَ دونَ يدِه جيبَك.. هل تعُدُّ فعلَ ذلك اللصِّ تنازلا! ولو دفعَ لك مائةَ ليرةٍ بدلَ العشر؟!

قال الرجل:

- لا

قال الشيخُ الحكيم:

- فكذلك نحن لا نعدُّ «تنازل» إسرائيلَ تنازلاً، بعد نعدّه وقاحةً وغروراً، وإصراراً على الباطلِ والعدوان، وكَذِباً على الألفاظِ والحقائقِ في وقت واحد.. إنّ «تنازلَ إسرائيل!» الذي يذكرونَه أو يطلبونَه هو كتنازلِ ذلك اللصّ، بل إنّ اللصّ في الحالةِ المتقدّمة أهونُ جُرْماً وأقلُّ فُجوراً ألفَ مرَّة.. فمتى يكونُ لنا من الوعيِ والإخلاصِ والشجاعةِ ما يَحمينا الانحرافَ والضلالَ على جهلٍ! أو على علم

الطلائع الإسلاميّة

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

- هل تَعُدُّني واحداً من الطلائعِ الإسلاميّةِ التي تُكْثِرُ الحديثَ عنها هذه الأيام؟

قال الشيخُ الحكيم:

- إذا أجبتَني على أسئلتي أجبتُكَ على سؤالِك

قال التلميذُ الناشئ:

- إسألْ ما تريدُ فإنّني مجيبُك بصدقٍ -إن شاء الله-

قال الشيخُ الحكيم:

- هل تقبلُ بأن تَسْلُكَ طريقَ الباطلِ ولو تبعكَ فيه سائرُ الناس؟

قال التلميذُ الناشئ:

- لا

قال الشيخُ الحكيم:

- هل تقبلُ بأن تَتَنَكَّبَ طريقَ الحقِّ ولو تخلّى عنك فيه سائرُ الناس؟

قال التلميذُ الناشئ:

- لا

قال الشيخُ الحكيم:

- هل أنتَ مستعدٌ لمتابعة السيرِ في طريقِ الحقِّ ولو كنتَ فيه وحدَك في مواجهةِ سائرِ الناس.. ولو كان فيه البأساءُ والضرّاءُ والموتُ في سبيلِ الله؟

قال التلميذُ الناشئ:

- أرجو أن أكونَ كذلكَ بعونِ الله

قال الشيخُ الحكيم:

- فأنتَ إذن يا بُنيَّ من الطلائع الإسلاميّةِ المنتظَرَةِ التي تشتدُّ إليها الحاجةُ هذه الأيام، والتي يكونُ بها ومعها التحرُّرُ والنصرُ وخيرُ الدنيا والآخرة

كما صنع رسُول الله صلى الله عليه وسلّم

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

- ماذا يمكنُ أن يصنعَ المسلمُ في هذا العصرِ والمالُ والسلطانُ والناسُ مع أعداءِ الإسلامِ أو مُسْتغلي الإسلام؟!

قال الشيخُ الحكيم:

– كما صنع رسول صلى الله عليه وسلّم.. كان المالُ والسلطانُ والناسُ في مكةَ والجزيرةِ والدنيا كلِّها مع الطاغوت، وكان وهو وحدَه مع اللهِ عزَّ وجلَّ، فغيَّر بإيمانِه وثباتِه وجهادِه الدنيا

يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– هل كنتَ تُقَدِّرُ بحالٍ من الأحوالِ أنَّ مثلَ فلانٍ وفلانٍ وفلانٍ يمكنُ أن يبيعوا أنفسَهم للطاغوتِ ويصبحوا من عبيدِ الدنيا؟!

قال الشيخُ الحكيم:

– فإنَّ ذلك بعضُ ما أشار إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم بقوله الذي رواه البخاري ومسلم:

«... **إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا** » رواه مسلم

فادعُ اللّهَ معي: اللَّهُمَّ يا مُقلّب القلوبِ ثبِّتْ قلبي على دينك واسألِ اللّهَ لي ولك ولسائرِ المسلمينَ حُسْنَ الخاتِمة

مشكلةُ نوعيّة لا مشكلةُ كميّة

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– إنَّ الذينَ قرؤوا كلامَك في العدد: 29 من «الرائد» يَرَوْنَ أنَّ عَدَدَ الطلائِع الإسلاميّةِ حسب شروطِك سيكونُ قليلا

قال الشيخُ الحكيم:

– ولكنّ هذه «القِلَّةَ» أو «النُّخْبَةَ» –إن شئتَ– هي ما يفتقرُ إليهِ المسلمونَ الآن، وهي وحدَها مَناطُ الأمَلِ للمستقبل

قال التلميذُ الناشئ:

– أرجو أن تَزيدَني بيانا

قال الشيخُ الحكيم:

– كم هو عَدَدُ المسلمينَ في العالمِ اليوم؟

قال التلميذُ الناشئ:

– لا أدري بالضبط، ولكنّ بعضَهم يَصِلُ بالعددِ إلى نحوِ مِليار

قال الشيخُ الحكيم:

– ماذا يَتَغَيَّرُ في واقعِ المسلمينَ يا تُرى لو استطعنا أن نُضيفَ إلى هذا المليارِ مائةَ مليونٍ أُخرى من نفسِ الصِّنْف؟

قال التلميذُ الناشئ:

– لا يتغيَّرُ شيءٌ ذو بال

قال الشيخُ الحكيم:

– فماذا لو استطعنا أن نرفعَ ألوفاً أو مئاتٍ فقطْ من هذا المليارِ إلى مستوى أصحابِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم؛ أيْ إلى مستوى إسلامِهم ومهمّتِهم وعصرِهم؟

قال التلميذُ الناشئ:

– لو استطعنا ذلك لَوَقَعَ التحوُّلُ المنشودُ في حياةِ المسلمينَ والعالمِ، ولَتَغَيَّرَ مجرى التاريخ

قال الشيخُ الحكيم:

– إنّ مشكلةَ المسلمينَ يا بُنَيّ ليستْ مشكلةَ «كميّةٍ» ولكنّها مشكلةُ «نوعيّة»..

إنّ المسلمينَ بحاجةٍ إلى «الطلائعِ الإسلاميّة» بالشروطِ التي ذكرتُها، فإنْ وُجِدَتْ هذه الطلائعُ استفادتْ للإسلامِ من كلِّ جهدٍ مهما قلّ، وإنْ لم توجدْ ضاعتْ هذه الجهودُ في الغالب عبثاً، بل ربّما استُخْدِمَتْ من أعداءِ الإسلامِ في محاربةِ الإسلام، أو خدمةِ أهدافٍ أُخرى غيرِ أهدافِ الإسلام

أعجبُ من هؤلاء

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– أرأيتَ أعجبَ ممّن يُحِسّونَ قصورَهم بحقِّ الإسلامِ والمسلمينَ، ولا يُحِسّونَ مسؤوليّتَهم وواجبَهم في تجاوُزِ هذا القصور؟!

قال الشيخُ الحكيم:

– أعجبُ من هؤلاءِ مَنْ لا يُحِسّونَ بالقصورِ أصلاً، أو الذين يُحِسّونَه ويخدعونَ عنه الناس دون خوفٍ من الله، ولا خجلٍ من الواقعِ، ولا تقديرٍ لعواقبِ الغفلةِ والتضليل

إلى متى تُظلَم شعوبنا؟!

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– إلى متى تُظلَمُ شعوبُنا، ويستأثرُ الحاكمونَ والمستغلّونَ بخيراتها، ولا يتركونَ لها إلاّ البؤسَ والحرمانَ والهوان؟

قال الشيخُ الحكيم:

– حتى تعرِفَ هذه الشعوبُ حقوقَها وواجباتِها التي حدّدها الإسلام، فَلا تُفَرِّطَ في حقّ، ولا تُقَصِّرَ في واجب، ولا تتركَ حبلَ حاكمٍ على غاربهِ دونَ سؤالٍ ولا حساب.. وكذلك كان أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلّم

قال التلميذُ الناشئ:

– هل من مِثال؟

قال الشيخُ الحكيم:

– جاءتْ عمرَ (بنَ الخطّاب) بُرودٌ من الْيَمَن، ففرّقَها على الناس بُرْداً بُرْداً، ثم صعِد المنبَر يخطب وعليه حُلَّةٌ منها (أيْ بُرْدانِ اثنان) فقال: اسمعوا رَحِمَكُمُ الله. فقام إليه سلمانُ، فقال: واللهِ لا نَسْمَعُ، والله لا نَسْمَع

فقال (عمر): ولِمَ يا أبا عبد الله؟

قال سلمان: تَفَضَّلْتَ علينا (أي فضّلْتَ نفسَك علينا) بالدنيا، فَرَّقْتَ علينا بُرْداً بُرْداً، وخرجتَ تخطبُ في حُلّةٍ منها!

قال عمر: أينَ عبدُ اللهِ بنُ عمر؟

فقال عبدُ الله: ها أنذا يا أميرَ المؤمنين!

قال عمر: لِمَنْ أحَدُ هذين الْبُرْدَيْنِ اللذَيْنِ عليّ؟

قال: لي

فقال لسلمان: عَجِلتَ عليَّ يا أبا عبد الله، إنّي كنتُ غسلتُ ثوبِيَ الْخَلَقَ فاستعرتُ ثوبَ عبدِ الله

فقال (سلمان): أمّا الآن فقلْ نسمعْ ونُطِعْ

قال التلميذُ الناشئ:

– فما أحوجَنا الآن إلى «سلمانَ» يحاسبُ حكّامَنا على الملايينِ والمِلياراتِ التي يستأثرونَ بها دون الشعوب، ويتصرّفونَ بها –أكثر ما يتصرفون– فيما يُسْخِطُ اللّهَ عزَّ وجلَّ

قال الشيخُ الحكيم:

– بل ما أحوجَنا إلى أن يتحوّلَ كلُّ فردٍ في أمّتِنا إلى «سلمان»، وإلى أن تنطلقَ كلماتُه المخلصةُ الصريحةُ الجريئةُ من كلّ شفةٍ ولسان.. وعندَها تستردُّ شعوبُنا حقوقَها وحريَّتَها وكرامتَها، وتبدأ صفحةٌ جديدة في تاريخنا.. صفحةٌ لا يمكنُ أن يخطَّها لنا إلاّ الإيمان والإسلام.. عندما تَتَرَسَّخُ في قلوبِنا، وتتمثّلُ في حياتِنا، حقيقةُ الإيمانِ والإسلام

ما أعظمَ مَنْ صَنَعهم الإسلام

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– لو أنّ سلمانَ الفارسيَّ رضي الله عنه كان في زماننا وقالَ لحاكمٍ من حكّامِنا ما قالَ لعمرَ بنِ الخطاب، ماذا تُراه يكونُ الجواب؟.. الضربُ؟ أم السجنُ؟ أم القتل؟

قال الشيخُ الحكيم:

– إنّ سلمان ما كانَ يُبالي ما يُصيبُه في سبيل الله، ولا يَزْهَدُ في أن يكونَ عملُه أفضلَ الأعمال، ولا في أن يكونَ سيِّدَ الشهداء.. فـ «أفضلُ الأعمال –كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم–... **كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِر** » و « **سيِّدُ الشهداءِ حمزةُ بنُ عبدِ المطلب، ورجلٌ قام إلى إمامٍ جائر، فأمرَه ونَهاه، فَقَتَلَه** »

قال التلميذُ الناشئ:

– إنّما أردتُ أنْ أُبْدِيَ إعجابي بسعةِ صدرِ عمر، وتقبُّلِهِ للنقدِ، وإنصافِه من نفسه، بالإضافة إلى عدله

الْمُعْجِز، ممّا يفتقرُ إليه حكّامُنا الذينَ لا يعرفُ أكثرُهم إلاّ لغةَ القوّةِ والبطش

قال الشيخُ الحكيم:

– فإنّ الأمرَ أعظمُ كثيراً من مجرّدِ سعةِ الصدرِ، وقبول النقد.. لقد كان عمرُ رضي الله عنه حريصاً على أن يُنْصَحَ ويُنْقَد، وكان يخافُ أن يسكتَ الناسُ عن نقده أشدَّ الخوف

"قال حُذَيْفَة:

– دخلتُ على عمرَ فرأيته مهموماً حزيناً، فقلت له: ما يُهِمُّكَ يا أميرَ المؤمنين؟

فقال: إنّي أخافُ أن أقعَ في منكرٍ فلا ينهاني أحدٌ منكم تعظيماً لي

فقال حذيفة: واللهِ لو رأيناكَ خرجتَ عن الحقِّ لَنَهَيْنَاك

ففرح عمرُ وقال: الحمدُ لله الذي جعلَ لي أصحاباً يُقَوِّمونَني إذا اعْوَجَجْت "

قال التلميذُ الناشئ:

– ما أعظمَ الإسلام! وما أعظمَ من صَنَعَهُمُ الإسلامُ من الرجال!.. وبمثلِ عمرَ وسلمانَ في الحكّامِ والمحكومينَ يكونُ الفجرُ الجديدُ، والنصرُ الموعود، ونكونُ بحقٍّ خيرَ أمّةٍ أُخْرِجَتْ للناس

ما أخشاه في هذا الغياب الإسلاميّ!

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– لقد جرّب الناسُ في بلادنا الرأسماليّةَ والاشتراكيّةَ.. ولم يبقَ أمامهم إلاّ الإسلام، فهو وحدَه الآنَ البديل

قال الشيخُ الحكيم:

– ذلك عندما يكونُ الإسلامُ موجوداً في الميدان، وعندما يجدُ رجالَه المخلصينَ الواعينَ المقتدرينَ الذين يُجسِّمونه أصدقَ التجسيم، ويعبِّرون عنه أصدقَ التعبير، ويرتفعونَ به إلى مستوى مهمّتِهم وعالَمِهم وعصرِهم،

وإلى مستوى حاجاتِ الناس وآمالِهم في هذا العالم والعصر

أمّا في هذا «الغيابِ الإسلاميّ المذهل!» فإنّني أخشى أن تتكرّرَ الحلقاتُ الفائتةُ نفسُها، فينقلبَ الناسُ عن الاشتراكيّةِ إلى الرأسماليّة، وعن الرأسماليّةِ إلى الاشتراكيّةِ، أو إلى ما هو أشدُّ وأدهى ممّا يَجري بعضُه الآن، وممّا يخطرُ على بالِنا، أو لا يخطرُ لنا على بال

هم الضحيَّة لحركة التاريخ

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– أينَ المسلمونَ من الأحداثِ الكبيرةِ الخطيرةِ التي تقعُ في بلادِنا هذه الأيام، والتي تقرّرُ مصيرَنا في الحاضرِ والمستقبلِ إلى حدٍّ بعيد؟!

قال الشيخُ الحكيم:

– إنّهم يقرؤونَ بعضَها في الصحف، ويسمعونَ بعضَها من الناس، وينظرونَ كيفَ يتعاشونَ مع نتائجها – مهما كانتْ هذه النتائج–

لقد انقطعَ المسلمونَ من زمنٍ طويلٍ عن صنعِ التاريخ أو التأثير فيه، وقصّروا من زمنٍ طويلٍ عن فهمهِ والاستفادةِ منه، بل غَدَوْا من زمنٍ طويلٍ هم الضحيّةَ الدائمةَ لحركتِه التي تطحنُهم باستمرار.. وأشدُّ الأمورِ خُطورةً ومدعاةً للأسى: أنّهم لا يَشعرون بهذه الحقيقةِ الأليمة! ولا يُريدونَ أن يَشعروا بها! ولا يرضَوْنَ عمّن يبعثُ فيهم هذا الشعور!

إذا اجتمع صَغار العقول والنفوس

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– سمعتُك هذا اليومَ تقول: ما أشقى الأمةَ التي يحكُمها صِغارُ العقولِ أو صِغارُ النفوس!.. فسألتُ نفسي: تُرى كيفَ تكونُ الحالُ إذا اجتمعَ هذانِ الأمرانِ؟ وكثيراً ما يجتمعان!

قال الشيخُ الحكيم:

– تكونُ كحالِ بعضِ بلادِنا اليومَ منَ الفسادِ والضياعِ والهوان

إلى الحكَّام الظالمين

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– إنّ من حكّامِنا الظالمينَ من يتصوّرونَ أنّهم أمنعُ من أن تصلَ إليهم يدُ مخلوق، فهم يتكبّرون ويتجبّرونَ ويبطشونَ بكلّ مَنْ يرفعُ رأسَه أو صوتَه في مواجهتِهم بالحقِّ أشدَّ البطش.. دونَ خوفٍ من أحدٍ أو مراعاةٍ لأحدٍ مهما كان

قال الشيخُ الحكيم:

– ما أجهلَ هؤلاءِ الحكّام! إن كانتْ لا تصلُ إليهم –كما يتصوّرونَ– يدُ مخلوقٍ فماذا يَعْصِمُهمْ من يدِ الخالقِ عزَّ وجلَّ؟

إنّني ما أزالُ أذكر من الصِّغَر هذه الأبياتَ التي رُوِيَ أنّها قُرئتْ على قبرٍ بالشام:

باتُوا على قُلَلِ الأَجْبالِ تَحْرُسُهمْ غُلْبُ الرِّجالِ فلم تَنْفَعْهُمُ القُلَلُ
واستُنْزِلُوا بَعْدَ عِزٍّ من مَعاقِلِهمْ فأُسكِنُوا حُفرةً يا بِئْسَ ما نَزَلُوا

ناداهُمُ صارِخٌ مِن بَعْدِ مـا دُفِنُـوا	أيـنَ الأسِـرَّةُ والتيجـانُ والْحُلَـلُ
أينَ الوجوهُ الـتي كانـتْ مُحَجَّبَـةً	مِنْ دونِها تُضرَبُ الأَسْـتَارُ والكِلَـلُ
فأفصحَ القَبْرُ عَنْهُمْ حـينَ سـاءَلَهُمْ	تِلْكَ الوُجُوهُ عَلَيْهـا الـدُّودُ تَقْتَتِـلُ
قدْ طالَما أَكَلوا دَهْراً ومـا نَعِمُـوا	فَأَصْبَحُوا بَعْدَ طُولِ الأَكْلِ قدْ أُكِلُـوا

إنّ العقوبة –يا بُنَيَّ– إن لم تكنْ على أيدي الناسِ كانتْ على يدِ الله، فلا نجاةَ أبداً للظالمين

﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَار ﴾ [إبراهيم:42]

فهل يتّعظُ الحكّامُ الظالمونَ قبلَ فواتِ الأوان؟

يستبطئون نصرَ الله!

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– إنّ الناسَ في بلادِنا يستبطئونَ نصرَ الله

قال الشيخُ الحكيم:

– إنّ ما عليهِ الناسُ في بلادِنا من معصيةِ الله، والإعراضِ عنه، والإقبال على الدنيا، والعبوديةِ لها، ولكلِّ ما يوصِلُ إلى متاعِها الزائل، لا يَسْتَنْزِل نَصْرَ الله، ولكنْ غَضَبَ اللهِ وعِقابَ الله. ولقد قيلَ يوماً لِمالكِ بن دِينَار:

«يا أبا يحيى، ادعُ اللّهَ أن يَسْقِيَنا

قال: تَسْتَبْطِئُونَ المطر؟!

قالوا: نعم

قال: إنّني واللهِ أستبطِئُ الحجارة»

وأنا -يا بُنَيَّ- لا أستبطئُ النصرَ، ولكنْ أستبطئُ الهلاكَ والدمار، ما دامَ الناسُ في بلادِنا على هذه الحال

كَفَى بالمرء خيانةً وظلماً وفسادا..

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

- إنّ الناس يَظلمونَ فلاناً من أعوانِ هذا الحاكِم الذي حاربَ اللّهَ ورسولَه والمؤمنين، ومَشى في صَفِّ الصليبيّينَ والصهيونيّينَ والمستعمرين.. ويتّهمونَه بالخيانةِ وهو -كما علمتُ- ليسَ رجلَ سوء، ولا ممّن يمكنُ أن يتآمرَ أو يخون

قال الشيخُ الحكيم:

- كفى بالمرءِ خيانةً أن يكونَ عَوْناً للخائنين، وظُلْماً أن يكونَ عوناً للظالمين، وفساداً أن يكونَ عوناً للفاسدين.. فإن كان هذا الرجلُ ليسَ كما يزعمون، فلماذا لا يتركُ مكانَه على الأقلّ ويستقيل؟

السادات.. وعلماء مصر

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

- ألم يقل الله عزَّ وجلَّ في كتابه الحكيم:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة:174]

قال الشيخُ الحكيم:

– بلى

قال التلميذُ الناشئ:

– ألم يُروَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم أنّه قال: «مَنْ كَتَمَ عِلْماً أَلْجَمَهُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَار» حديث حسن رواه ابن حبان في صحيحه.

قال الشيخُ الحكيم:

– بلى

قال التلميذُ الناشئ:

– فكيف كتمَ أكثرُ علماءِ مصر[2] ودعاتِها الذين جمعهم الساداتُ ما أنزل الله من الكتاب، وما استودعهم من العلم في معرِض الحاجة إلى البيانِ، والساداتُ يُحَرِّفُ الإسلام، ويشتُم المسلمين، دون تهيّب ولا حياء؟!

قال الشيخُ الحكيم:

– لقد كان في قلوبهم خَشْيَةُ المخلوق، و لم تكنْ في قلوبهم خشيةُ الخالقِ، فسكتوا عن الباطل، وعجزوا عن إعلان كلمة الحقّ.. ولو كان في قلوبهم خشيةُ الخالق لا المخلوق، لَكَان لهم موقفٌ آخرُ يَشْمَخُ فيه الحقّ، ويَخنسُ فيه الباطل، وتهتزُّ له أعطافُ العالم الإسلاميّ، ويُرَدِّدُ صداهُ التاريخ إلى مدىً بعيد

قال التلميذُ الناشئ:

– فأينَ هؤلاءِ العلماءُ والدعاةُ إذن من قول اللهِ عزَّ وجلَّ:

﴿... **أَتَخْشَوْنَهُمْ؟! فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ [التوبة:13]

ومِنْ قول الله عزَّ وجلَّ:

﴿ **الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا** ﴾ [الأحزاب:39]

قال الشيخُ الحكيم:

---

(2) فقد كان لبعضهم في بعض الأمور موقف كريم.

– لقد قرؤوا ذلك يا بُنَيَّ وأَقْرَؤوه مئاتِ المرّات.. ولكن المهمّ أن يَنْفُذَ هذا القولُ إلى عقولهم وقلوبهم، وأن يتجسّمَ في حياتهم ومواقفهم.. ولو حصل هذا لَوُجِدَ فيهم من يواجهُ السادات مواجهةَ العزِّ بن عبدِ السَّلامِ للسلطان أيُّوب، ومن يستطيعُ أن يقولَ بعدَ المواجهةِ أيضاً ما قاله العزُّ بنُ عبدِ السلام عندما سأله بعض تلاميذه: أما خفتَ السلطان؟! فأجاب رحمه الله تعالى جوابَه الخالد:

«استحضرتُ في قلبي خشيةَ اللهِ فصارَ السلطانُ في عيني كالقطّ»

طريقُ الحياةِ الحقيقيَّة الكريمة

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– لقد طال نومُنا على الهوان، وخضوعُنا المستمرُّ للطغيانِ بعدَ الطغيان.. حتى لقد أشبهَ ذلكَ الموت

قال الشيخُ الحكيم:

– بل هو الموتُ نفسُه في أحدِ أشكالِه الرهيبةِ العجيبةِ التي يُصاب بها الأحياءُ في بعضِ الأحيانِ وهم ما يزالونَ يتنفَّسونَ ويتكلّمون ويَدِبّون على وجهِ الأرض.. ألَمْ تقرأْ هذه الأبيات التي صَوَّرَ بها أحدُ شعرائِنا المعاصرينَ حالَنا هذه أبرعَ تصوير:

نحنُ مَوْتَى! وَشَرُّ ما ابْتَدَعَ الطُّغْيَانُ ... مَوْتى على الدُّرُوب تَسِيرُ
نحنُ مَوتَى! وإنْ غَدوْنَا ورُحْنَا ... والبُيُوتُ الْمُزَوَّقَاتُ قُبُورُ
نحنُ مَوْتَى يُسِرُّ جارٌ لِجارٍ ... مُسْتَريباً: مَتَى يَكُونُ النُّشُورُ

قال التلميذُ الناشئُ مردِّداً تساؤلَ الشاعِرِ في الشَطْر الأخير:

– نعم، متى يكونُ النشورُ من هذا الهوانِ والخضوع، وهذا الضَّرْبِ الرهيبِ العجيب من ضروبِ الموت؟

قال الشيخُ الحكيم:

– يكونُ النشورُ من الهوانِ والخضوع، وتعودُ إلينا الحياةُ بمعناها الحقيقيّ وقيمتها الحقيقيّة، عندما نستجيبُ مخلصين صادقين لله وللرسول، ونرجع رجعةً كاملة فاصلة إلى الإسلام كما أنزله الله عزَّ وجلَّ، فالله عزَّ وجلَّ قال:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۞ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۞ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآَوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الأنفال:24-26]

إنّنا يا بنيَّ –وهذا من أكبر عِلَلِنَا– نعرفُ طريقَ الحياةِ ولا نَسْلُكُه، ونبصرُ طَوْقَ النجاةِ ولا نُمْسِكُه

كالعِيسِ في البَيْداءِ يَقْتُلُها الظَّمَا والماءُ فَوْقَ ظُهُورِها مَحْمُولُ

حلمٌ وغفران

قال رجلٌ في مجلسِ الشيخِ الحكيم:

– ما أطيبَ شعوبَنا وما أحلَمَها، وما أكثرَ غُفرانَها لحكّامِها الظالمين، وأعدائِها الغاشمين..

قال الشيخُ الحكيم:

– إنّ الحِلْمَ والغفرانَ لا يكونانِ إلاّ عن قُدْرَةٍ وانتصار، وما أبعدَ الفرقَ بين الحلمِ والعجز، والغفرانِ والذلّ.. وإنّه لَيُعْجِبُني في ذلك قولُ أبي الطيّب المتنبّي:

كلُّ حِلْمٍ أتى بِغَيْرِ اقْتِدَارٍ حُجَّةٌ لاجِئٌ إليها اللِّئامُ

وقولُه:

يَرى الْجُبَناءُ أنَّ العَجْزَ عَقْــلٌ وتلكَ خَدِيعَةُ الطَّبْعِ اللّئيمِ

كما يُعجبني أيضاً قولُ بَدَوِيٍّ الجبَلَ في أحدِ الشعوب:

يُغْضِي على الذُّلِّ غُفْراناً لِظالِمِهِ تَأَنَّقَ الذُّلُّ حتّى صارَ غُفْرانَا

لا بدَّ –يا أخي– أن تتحرّرَ شعوبُنا من الظلمِ والطغيان، لِتُدْرِكَ فضيلةَ الحلمِ والغفران، ففضيلةُ الحلمِ والغفرانِ لا يدركُها عاجزٌ ولا جَبان

عتبُ الأصدقاء وغضبُ الأعداء

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– ما أشدَّ جزعَك لِعَتْبِ الأصدقاء! واستخفافَكَ بغضبِ الأعداء –مهما اشتدَّ بأسُ الأعداء–!

قال الشيخُ الحكيم:

– إنّني في ذلك كأبي الطيّبِ المتنبّي الذي يقول:

ويَزيدُني غَضَبُ الأعادي قَــسْوَةً ويُلِمُّ بي عَتْبُ الصديقِ فَأَجْزَعُ

قال التلميذُ الناشئ:

– وإذا كان عدوُّك على حقّ؟

قال الشيخُ الحكيم:

– إذا كان على حقٍّ فلن يكونَ لي عندَ ذلك عَدُوّاً

كَراهِيَةُ الْمُنْحَرِفين للمستقيمين

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– إذا التمَسْنا لهؤلاءِ الأعذارَ في إيثارِهِمُ العاجلةَ على الآجلَة، وميلِهم عن طريقِ الحقِّ إلى طريق الباطل، وعن طريقِ الواجبِ إلى طريقِ المنفعة، وعن طريقِ الحريّةِ والكرامةِ إلى طريقِ العبوديّةِ والهوان.. فما عذرُهم في محاربةِ الذينَ آثروا الآخرةَ على الدنيا، واستقاموا على طريقِ الحقِّ والواجبِ والحريّةِ والكرامة، فلم ينحرفوا رغمَ كلِّ الشدائد، وكلِّ المغريات.

قال الشيخُ الحكيم:

– إنّ استقامةَ المستقيمِ هي التي تَكْشِفُ انحرافَ المنحرف، وفضلَ الفاضلِ هو الذي يُظْهِرُ نقص الناقص.. وكراهيةُ المنحرفين وأشباهِهم للمستقيمين، وحقدُهم عليهم، وحربُهم لهم، إنّما يكونُ بمقدارِ انحرافِهم، ووعيِهم لهذا الانحراف، وإصرارهِم عليه، وعلى عدمِ الرجعةِ عنه، والتوبةِ من إلى الله

سـيِّد الجزيرة

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– ما أعجبَ هذه العناوينَ الكبيرة، والألقابَ العديدة التي تشيعُ في المسلمينَ من زمنٍ طويل، والتي لا يوجَدُ لها أيُّ حقيقة، أو لا يوجَدُ لها إلاّ حقيقةٌ صغيرة

قال الشيخُ الحكيم:

– إنّ هذه العناوينَ والألقابَ تذكّرني كثيراً بلَقَبِ «سيِّد الجزيرة» في مسرحيّةِ «مدرسة الزوجات» لمولْيير

قال التلميذُ الناشئ:

– وما سيّدُ الجزيرةِ هذا؟.. فأنا لم أقرأْ هذه المسرحيّة

قال الشيخُ الحكيم:

– لقد ذكر مولْيير على لسانِ أحدِ أبطالِ هذه المسرحيّةِ أنّه يعرفُ شخصاً اسمُه: «الْحَجَرُ الكبيرُ» يملِكُ قطعةً صغيرةً من الأرضِ، فأحاطَ هذه القطعةَ بخندقٍ مليءٍ بالوحل، واتّخذَ لنفسهِ على هذا الأساسِ هذا اللَّقَبَ الضخمَ الفخم: «سيِّدُ الجزيرة»

قال التلميذُ الناشئُ ضاحكا:

– فقد كانَ لهذا «السيّد» جزيرتُه على الأقلّ.. أما أصحابُ الألقابِ الكبيرةِ هذه الأيامِ فليسَ لأكثرِهم جزيرةٌ ولو كانتْ قطعةً صغيرةً من الأرض، وكانَ البحرُ الذي يُحيطُ بها خندقاً ضيّقاً من الوحل

جيلٌ جديدٌ يتجاوزُنا في كلِّ شيء

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– إنّي أراك منذ فترةٍ من الزمن تُحيلُ إليَّ بعضَ أسئلةِ الناس إليك، بلْ أراك أنت نفسَك تسألُني في بعض الأمور.. فهل هذا من قَبيل الامتحانِ أم من قبيل التشجيع؟

قال الشيخُ الحكيم:

– قد يكون هذا أو ذاك أحياناً، وقد لا يكون هذا ولا ذاك، فأنت –يا بنيّ– قد غدوْتَ أعرف منّي ببعض الأمور، فأنا أسألك فيها مستفيداً لنفسي وللناس، فضلاً عمّا في تكامل المعرفة وتبادلِ الرأيِ من فائدةٍ لا يتركُها مخلصٌ ولا عاقل

قال التلميذُ الناشئ:

– أستغفرُ الله! بل أردتَ على ما يبدو أن تُلَقِّنَنا درساً عمليّاً فيما عهدناه فيك من فضيلة التواضع

قال الشيخُ الحكيم:

– كلاّ، ليس ما أقوله وما أفعله من قَبيل التواضع أو إلقاء الدروس الخلقيّة العمليّة أو النظريّة، فالأستاذُ في مجال ليس بالضرورة أستاذاً في كلّ مجال، وهو لا يَبْقَى كذلك على أيّة حال.. والتلميذُ كذلك لا يَبقى تلميذاً في كلّ مجال، بل يتحوّلُ بدَوْره في بعض المجالات إلى أستاذ.. وقديماً كان أحمدُ بن حَنبل تلميذَ الشافعيّ في الفقه، وكان الشافعيُّ يستفيدُ من أحمدَ في الحديث، وكان العالمانِ الجليلان أخوَيْنِ متعاونَيْنِ في خدمة الإسلام والمسلمين

قال التلميذُ الناشئ:

– فإنّ كثيراً من الأساتذة يُخالفونك عمليّاً على الأقلّ في هذا الأمر

قال الشيخُ الحكيم:

– أمّا أنا فما أَحَبَّ إليّ أن يكون تلميذي أخي أُكملُه ويُكملني، بل ما أَحَبَّ إليَّ أن يتجاوزَني ويسبقَني، فأشعر بذلك أنّني قد نهضتُ بعضَ النهوض بواجبي الإسلاميّ والفكريّ والترْبَويّ

إنّ من أكبر واجباتنا أن نمهِّدَ الطريق ونهيِّءَ الأسباب لولادة جيلٍ جديدٍ يتجاوزُنا في كلّ شيء.. فما بَلَغْناه نحن لم يكن كافياً لتحقيق أهدافِ الإسلام

لقد كنّا دونَ إسلامِنا ومهمّتنا وعصرنا.. يجب أن نكشفَ لكم هذه الحقيقة ولا نخدعَكم عنها، وأن نأخذ بأيديكم ونساعدَكم وندفعكم لتتجاوزونا على كلّ صعيد، وترتفعوا ارتفاعاً حقيقيّاً حاسماً بأنفسكم وعملكم إلى مستوى إسلامكم ومهمّتكم وعصركم، وتحقّقوا للإسلام، وللإنسان والعالَم بالإسلام، ما عَجَزْنا عن تحقيقه نحن

رجالٌ في حقيقتهم على مُسْتَوى الأمل

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– ما كان أكبرَ هؤلاءِ الرجالَ في أعيننا أمسِ، وما أصغرَهم في أعيننا اليوم!

قال الشيخُ الحكيم:

– فإنّ هؤلاء الرجال لم يختلفوا كثيراً في هذا الوقت القصير؛ ولكنْ نَظَرْتُم إليهم أَمْسِ بعين العاطفة والأمل من بعيد فكانوا كِباراً، ونظرتُم إليهم اليومَ بعين العقل والواقع من قريب فكانوا صِغاراً، وصدمتْكُم الحقيقةُ العارية عندما تَجرّدتْ من ثياب العاطفة والأمل والخيال

قال التلميذُ الناشئ:

– فما أحوجَنا إلى رؤية الحقيقة المجرّدة باستمرار.. وما أشدَّ ارتقابَنا وشوقَنا للرجال الذين يكونون في حقيقتهم وواقعهم كِباراً على مُسْتَوَى الأملِ الذي تَجيشُ به الصدورُ من زمن طويل

وَطِّنْ نفسَك على الصبْر والعَفْو

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– هل كنتَ تتوقّع من هذا الذي كان يرتدي لك ثيابَ الْحَمَل، ويتقرّبُ إليك تقرُّبَ الوَلِيّ.. أنْ يثبَ عليك وُثوبَ النَّمِر، ويحاربَك حَرْبَ العدوّ، عندما بَرَقَتْ له في محاربتك بروقُ المطامع والمكاسب، ووصلتْه مصلحتُه بمن يحاربونك من أعداء الإسلام ومستغليه؟

قال الشيخُ الحكيم:

– لم أكنْ أتوقّعُ ولكنّني لم أستغرب.. فهذه طبائعُ الناس وأخلاقُهم إلاّ من عَصَمَ ربُّك

قال التلميذُ الناشئ:

– فهذه الطباعُ والأخلاقُ إذن هي التي دعت المتنبّي إلى أن يقول:

إنّما أنفُسُ الأَنيسِ[3] سِباعٌ يَتَفارَسْنَ جَهْرَةً واغْتِيالا

وإلى أن يقول:

ومَنْ عَرَفَ الأيّامَ مَعْرِفَتي بها وبالنّاسِ رَوَّى رُمْحَهُ غَيْرَ راحِمِ
فليسَ بمرحومٍ إذا ظَفِروا به ولا بالرَّدَى الجاري عليهمْ بآثِمِ

(3) الأنيس : الناس

قال الشيخُ الحكيم:

– قد يكون ذلك يا بنيّ؛ ولكنّنا لا يمكن أن ننظر نَظْرَتَه، ولا أن نقف مَوْقِفَه، بحال من الأحوال.. فأخلاقُنا يجب أن تكون صورةً من إسلامنا لا من مُحيطنا، ومواقفُنا الباطِنة والظاهِرة يجب أن تصدر عن الإسلام لا عن رُدود الفِعْل، ولا عن المؤثّرات الخارجيّة المختلفة الأخرى

إنّ مهمّتنا الكبيرة هي أن نزكّيَ أنفسَ الناس، ونرتقيَ بهم إلى مستوى إسلامهم، لا أن ننتقم لأنفسنا، ونَنْتَصِفَ ممّن أساء إلينا.. فَوَطِّنْ نفسك يا بنيّ على الصبرِ الجميل والعَفْوِ الواسع، واجعلْ أُسْوَتَك في ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم

الجودُ بالمال والجودُ بالنفس

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– إنّ فلاناً الفلاني رجلٌ كريم.. لقد دفع للمجاهدين كذا ألفاً من الدولارات، ومن حقّه –كما يقولون– أن يكون له رأيُه المؤثِّر في مَجْرى الأمور

قال الشيخُ الحكيم:

– إنّ ما دفعه فلان –بصرف النظر عن النوايا– لا يساوي واحداً من عَشرةِ آلافٍ من ثروته الطائلة الممتدّة في أنحاء الأرض

أمّا الأكرمُ من هذا وأمثالِه، والذين يستأهلون أن تكون في أيديهم مقاليدُ الأمور، فهم أولئك الذين بذلوا وما يزالون يبذلون في سبيل الله أموالَهم وأهلَهم وأنفسَهم دونَ تردّدٍ ولا تفاخرٍ ولا مَنّ

قال التلميذُ الناشئ:

– لقد أذكرتَني قولَ أبي فراس الْحَمْدانيّ:

ونَدْعو كريماً مَنْ يجودُ بمالِهِ ومَنْ يبذلُ النفسَ الكريمة أكرمُ

وقولَ مسلمِ بن الوليد الأنصاريّ:

يَجُودُ بالنَّفْسِ إذْ ضَنَّ الْجَوادُ بِها والْجُودُ بالنفسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ

صَغَارُ النُفوس

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– لقد بَلَغَ هؤلاء: فُلانٌ وفُلانٌ وفُلانٌ بِصَغارِ نفوسِهم من المال والجاه والمنصب ما لم يَبْلُغْهُ أولئك الذين يُعجبونك من كِبار النفوس

قال الشيخُ الحكيم:

– إنّ ما بلغه هؤلاء من المال والجاه والمنصب لا يعوِّض ما فقدوه من عِظَم النفوس، وما ابتُلوا به من صَغارِها المْلموس وغيرِ الملموس..

وسأظلُّ –كما قلتُ من قديم–:

أرثي لهم من صَغارِ النفسِ يَحْكُمُهُمْ حتّى ولَو لَبِسوا أَثْوابَ أَقْيالِ[4]
إنّ الصَّغَارَ بَلاءٌ لا يُعوِّضُهُ ما في البَرِيَّةِ من جاهٍ ومنْ مالِ

(4) الأقيال : ملوك اليمن في الجاهلية، دون الملك الأعظم.

لله درُّ الليالي

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– لقد عجبتُ لصاحبك القديم فلان.. يمرُّ ببلدك فلا يسألُ عنك، ولا يُسلِّم عليك!

قال الشيخُ الحكيم:

– وما يُعْجِبُك من ذلك.. والذين رَبط نفسَه بدنياهم يُغْضِبُهم أن يسألَ أو يسلّم على صاحبه القديم

قال التلميذُ الناشئ:

– فذلك منه عبوديَّة للدنيا، وتنكّرٌ للمعرفة والصحبة الطويلة والقِيَمِ الإسلاميّة والإنسانيّة العُليا، وإهدارٌ شائنٌ للشخصيّة والكرامة إلى أبعد حَدٍّ من الحدود

قال الشيخُ الحكيم:

– وهل أزمةُ المسلمينَ هذه الأيام إلاّ ما ذكرتَه من هذه الأدْواء وأمثالِ هذه الأدواء؟!

قال التلميذُ الناشئ:

– فما كنتُ أظنّ أنّ مثلَ صاحبك فلان يَهبطُ إلى مثل هذا الحضيض، ويتكشَّفُ عن مثل هذا الْخُلُق

قال الشيخُ الحكيم:

لِلّهِ درُّ الليالي طالما كَـــشَفَتْ من الْخَلائقِ ما قدْ كانَ مَسْتورا

إذا صحَّ منك الودُّ فالكلُّ هيّن

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– إنّك بمواقفك المختلفة تُغْضِبُ الحكّام في أكثر البلاد العربيّة، وتُوَلِّدُ في أنفسهم وأنفسِ أتباعهم السخط، وتزيدُهم تصميماً على محاربتك مباشرةً أو غيرَ مباشرة بمختلف السُّبُل

قال الشيخُ الحكيم:

– فهل تراني بهذه المواقف أرضي الله عزَّ وجلَّ، وأحقّقُ مصلحةَ الإسلام والمسلمين؟

قال التلميذُ الناشئ:

– أمّا هذا فنعم

قال الشيخُ الحكيم:

– فهذا وحدَه هو قَصْدي وهو حَسْبي.. وليكنْ بعد ذلك ما يكون

قال التلميذُ الناشئ:

– ولكنّنا نخشى عليك..

قال الشيخُ الحكيم:

– ألَمْ أسمعْك منذُ أيّامٍ تتوجَّه إلى الله عزَّ وجلَّ بهذه الأبيات المشهورات:

فَلَيْتَكَ تَحْلُــو والحيــاةُ مَريــرَةٌ ... وليتَكَ تَرضى والأَنَــامُ غِــضابُ
وليتَ الذي بيني وبينَــك عــامِرٌ ... وبــيني وبــينَ العــالمينَ خَــرابُ
إذا صَحَّ منكَ الوُدُّ فالكــلُّ هــيِّنٌ ... وكلُّ الذي فوقَ التُّــرابِ تُــرابُ

الأسماء والعناوين والمناهج والقيادات

قال شابٌ حَرَكِيّ:

– إنّ الحركةَ هي الاسم، فحيثُما كان الاسمُ كانتْ الحركة

قال شابٌ حركيٌّ آخر:

– إنّ الحركة هي المنهجُ والقِيادة.. فقد يكونُ الاسمُ أحياناً ولا تكونُ معه حقيقةُ الحركة، وقد تكونُ حقيقةُ الحركةِ ولا يكونُ معها الاسم.. فانظرْ يا أخي إلى الحقيقةِ والْمَضْمون، ولا تكنْ عبداً للأسماء والعناوين

قال شابٌّ حَرَكيٌّ ثالث:

– ما أجدرَ المسلمينَ بأن يرتبطوا أوّلاً بالإسلام الذي هو الأصلُ الذي توجدُ من أجلهِ الحركات، وتتبدّلُ على حَسَبِ مصلحتهِ وظروفهِ الأسماءُ والعناوينُ والمناهجُ والقيادات.. فهذا هو في نظري الحقُّ والصواب

أشدُّ ضلالا

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– ما أشدَّ ضلالَ هؤلاء الذين يَعْبُدون في هذا العصر أهواءَهم من دون الله عزَّ وجلَّ

قال الشيخُ الحكيم:

– أشدُّ منهم ضَلالاً هؤلاء الذين يعبُدون أهواءَهم في الحقيقة وهم يَدَّعون أنّهم يعبُدون الله

العنوان والمضمون

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– ما أجملَ العنوانَ الذي اختاره هؤلاء لعملهم وما أقبحَ المضمونَ عندَ الاختبار

قال الشيخُ الحكيم:

– إنّ بطاقةَ السُّكّرِ على وعاءِ الْحَنْظَلِ لا تجعلُه حُلْوَ الْمَذاق

لو ...

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– تُرى لو كان لأفكارنا أصواتٌ يسمعُها سائرُ الناس، ولأقوالنا مكـــبِّراتٌ تحملُها إلى سائر الناس، ولأعمالنا صُوَرٌ تنتقلُ كما تنتقلُ صُوَرُ التلفزيون فيراها مَنْ أَحَبَّ من الناس.. أكان كثيرون منّا يفكّرون، ويقولون كما يقولون، ويعملون؛ أم يراقبون الناس ويخافونهم ويستحون منهم ولو بعض الحياء؟

قال الشيخُ الحكيم:

– إذا كان الناس لا يَسْمعون ولا يَرَوْنَ أفكارَنا وأقوالَنا وأعمالَنا كلَّها.. فالله عزَّ وجلَّ يسمعُها ويراها ولا يَحجبُها عنه حِجاب، والمؤمنُ الصادق يَخشى الله ولا يخشى الناس، ويُراقبُ الله ولا يراقبُ الناس، ويحبُّ اللّهَ ويحرصُ على مَرْضاته، أكثرَ مما يُحِبُّ الناسَ ويحرص على مرضاةِ الناس

مَصارِعُ خِيارِ الناس

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– لقد راعَني استشهادُ فلان وفلان من خِيرَةِ المسلمين

قال الشيخُ الحكيم:

– لقد أذكرتَني قولَ الْمُثَنَّى بنِ حارِثَةَ رضي الله عنه عندما استُشْهِدَ أخوه في معركة الْبُوَيب[5]:

«أيّها الناس! لا يَرُعْكم مَصْرَعُ أ خي، فإنّ مَصارعَ خِياركم هكذا..»

قال التلميذُ الناشئ:

– ما أحوجَنا إلى هذه الدروس النافعة من ماضينا الجليل، وإلى هذه المشاعل الساطعة من القُدْوَةِ الصالحة تُضيءُ لنا ولأجيالنا القادمة عَبْرَ العصور

موقفٌ عظيم ودرسٌ عظيم

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– لقد قرأت (بعد حديثنا أمسِ) عن معركة الْبُوَيْب، فبهرني موقفُ مسعودِ بن حارثة كما بهرني موقفُ أخيه المثنّى من قبل..

ما أروعَه وأعظمَه مِنْ موقفٍ ذلك الذي رواه لنا الطبري: {عندما صُرِعَ مسعودُ بن حارثةَ أخو المثـــنّى تَضَعْضَعَ مَنْ معه، فرأى مسعود ذلك وهو دَنِف (مشرفٌ على الموت) فقال: «يا مَعْشَرَ بَكْرِ بن وائل ارفعوا

(5) كانت معركة الْبُوَيبْ بين المسلمين والفرس وقد انتصر فيها المسلمون بقيادة المثنّى بن حارثة ، واستشهد فيها أخوه مسعود بن حارثة وكثير من المسلمين

رايتَكم رَفَعَكُمُ الله.. لا يَهولَنَّكُم مَصْرَعي»}

قال الشيخُ الحكيم:

– هكذا القائدُ المؤمن الصادق الشجاع لا يفكّرُ وهو صريعٌ على شَفا الموتِ بنفسه، ولا يَنْشَغِل بأله وحياته وموته، ولكنْ بجندِه ومهمَّتِه وواجبه.. إلى أن يلفِظَ نهائياً آخرَ الأنفاس. إنّ الدنيا لا تقفُ عندَه عندَ حياتِه هو، والمعركةَ لا تنتهي بانتهاء حياته هو، وركبَ الدعوةِ والجهاد لا يتوقّف، ولا يجوز أن يتوقّف، بحالٍ من الأحوال

نعم يا بنيّ! إنّ ركبَ الدعوة والجهاد يجب أن يُتابع الطريقَ ولَوِ استشهدَ قائدُه –مهما كان هذا القائد– بل لو استشهدَ على الطريق ألفُ قائد وقائد

وكم أتمنّى أن تَعِيَ الطلائعُ الإسلاميّةُ في كلّ مكانٍ من العالم –قادةً وجنداً– هذا الدرسَ العظيم، وأن تكونَ قادرةً على متابعة طريقِها مهما تكُنِ العوائقُ والحوادثُ والظروف، وأن تتواثقَ على ذلك قلوبُها، وتتكاملَ من أجله العقولُ والعزائمُ والجهود

الإمَّعَاتُ والإمَّراتُ وبناتُ الجبل

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– إنّك تُكْثِرُ من ذِكْرِ الإمَّعَاتِ، والإنكارِ عليهم، والتبرُّمِ بهم والإشارةِ إلى دَوْرِهم السلبيّ في حياة المسلمين، والدعوةِ الْمُلِحَّة إلى أخلاق مُغايرة لأخلاقهم، ومواقفَ مُباينَة لمواقفهم، فَمَنْ هو الإمَّعَةُ الذي يُضايقك هذه المضايقة، ويؤلمك هذا الألم، ويدفعك إلى هذه الدرجة من الإنكار؟

قال الشيخُ الحكيم:

– الإمَّعَةُ –كما قال أبو عُبَيْد–: هو الرجلُ الذي لا رأْيَ له ولا عَزْم، فهو يُتابع كلّ أحدٍ على رَأيه، ولا يَثْبُتُ على شيء، وكذلك الإمَّرَةُ، الذي يُتابع كلَّ أحدٍ على أمْرِه، ومثلُهما بِنْتُ الْجَبَل، ومعناهُ الصدَى يُجيبُك من الجبل، أي هو مع كلِّ متكلِّم يُجيبُه بِمثْلِ كلامه

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– كم في صفوف المسلمين –وا أسفاه– من إمَّعاتٍ وإمَّراتٍ وبناتِ جَبَل! وكم يفتقر المسلمون إلى رجالٍ لهم شخصيّة مستقلّة، ورأي أصيل، وإرادة ماضية كحدِّ السّيف: رجالٍ يَرَوْن الحقّ بوضوح، ويلتزمونه بإخلاص، ويقفون معه بقوّة ولو حاربتْه وحاربتْهم من أجله الدنيا، ويمضون على نَهْجِهم البيِّنِ القويم بكلّ ثِقة وعزم وإصرار، مهما كانت العقباتُ والتبِعاتُ والتضحيات

قال الشيخُ الحكيم:

– ومن أجل هؤلاء الرجال –يا بُنَيَّ– نبذل ما نبذل من الجهد، ونُعاني ما نُعاني من الأذى، ونواجه ما نواجه من الأهوال؛ فهؤلاء الرجالُ هم طلائعُ الإسلام الحقيقيّة في هذا العالم والعصر

القول والعمل

قال س لصديقه ع:

– ما أعجبَ أمرَ فلان! نسمعُه فيكونُ أحلى من العَسَل، ونَبْلُوه فيكونُ أمرَّ من الْحَنْظَل

قال ع:

– ليس صاحبُك الذي تذكره بِدْعاً من الرجال، ولا أمرُه عَجَباً في أيّ زمان أو مكان.. فقديماً شَبَّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الرجلَ المنافق الذي يقرأ القرآن –وهو أحسنُ الحديث– بالرَّيْحانَة: رِيحُها طيّب وطعمُها مُرّ

قال س:

– إنّي أعوذُ بالله من المنافقين وإنْ كانوا في كلّ زمان ومكان، وأسألُ الله لي ولك ولسائر الأصدقاء أن نكونَ كالأُتْرُجَّة: ريحُها طَيّب وطعمُها طَيّب.. كما شَبَّه أيضاً رسول الله صلى الله عليه وسلّم المؤمنَ الصادقَ العاملَ الذي يقرأ القرآن

لو بقي لمسلمي هذه الأيّام

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– لقد قرأتُ في كتاب الكاملِ للمبرّد أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم قال للأنصار في كلامٍ جرى: «إنَّكم لَتَكْثُرونَ عندَ الفَزَع[6] وتَقِلُّونَ عند الطَّمَع».. فهل بقيَ لمسلمي هذه الأيّام شيءٌ ممّا وَصَفَ به الرسولُ الكريم الأنصار؟

قال الشيخُ الحكيم:

– لو بقي لمسلمي هذه الأيام شيءٌ كثير ممّا وصف به الرسولُ الأنصار لما عاد إلى التحَكُّمِ فيهمْ وفي بلادِهم كسرى وقيصر، وأبو جهل وأبو لهب

العرب في جاهليّتهم الجديدة

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– ما لِلْعَرَبِ قد شُغِلوا بأنفسهم: يَقْتُلُ بعضُهم بعضاً، ويشتمُ بعضُهم بعضاً، ويكيدُ بعضهم لبعض، لا يجمعُهم هدفٌ مُوَحَّد، ولا نَهْجٌ مخطَّط، ولا عدوٌّ مشترك، والسفينةُ تَغْرَقُ بهم جميعاً دونَ تمييز، وتغوصُ بهم أكثرَ فأكثرَ كلَّ يوم

قال الشيخُ الحكيم:

– رضيَ اللّهُ عن عمرَ بن الخطّابِ ما كانَ أوْعاهُ وأحكَمَه وأروَعَه عندما قال: «كانت العربُ أُسْداً في جزيرتِها يأكلُ بعضُها بعضاً، فلمّا جمعهم اللّهُ بمحمّدٍ لم يَقُمْ لَهُمْ شيء[7]».

---

(6) عند الفزع: أي عند الاستنجاد بكم والاستصراخ لكم.

وقد عاد العربُ الآنَ في جاهليّتهم الجديدةِ التي تخلَّوْا فيها عن الإسلام، ومنهجِ الإسلام، وأخلاقِ الإسلام، وأهدافِ الإسلام، كما كانوا في جاهليّتهم الأُولى: «أُسْداً يأكلُ بعضُهم بعضا».

قال التلميذُ الناشئ:

– أمّا أنّهم عادوا يأكلُ بعضُهم بعضاً، فهذا ما نراه –وا أسفاه– في كلِّ ساحة، وفي كلِّ مناسبة، وفي كلِّ يوم..

وأمّا أنّهم عادوا كما كانوا «أُسْداً» فهذا ما لا نتّفِقُ عليه، فما أبعدَهم في جاهليّتهم الجديدة، وفي هزائمِهم المتوالية، وفي استسلامِهم الذليلِ للهزيمةِ والعارِ والخنوع، عن الأسودِ، وشمائلِ الأسود، وصفاتِ الأسود!

أوَّلُ الطريق

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم:

– هل هنالِكَ أشدُّ غربةً من المسلم في هذا العالَم والعصر؟

قال الشيخُ الحكيم:

– نعم، الإسلامُ نفسُه يا بُنَيّ.

قال التلميذُ الناشئ:

– صدقتَ –يا سيّدي– فالإسلام هو أشدُّ شيءٍ غربةً بين أعدائه والجاهلين به من الناس.

قال الشيخُ الحكيم:

– وبين المسلمين أنفسهم، وبعض من يدّعون العمل له. وغُربتُه هنا هي أصلُ غربته هناك.

قال التلميذُ الناشئ:

---

(7) لم يقم لهم شيء : أي لم يثبت أمامهم ولم يقف في وجوهم شيء.

– وهل هو غريبٌ بين المسلمين وبعض العاملين للإسلام إلى هذا الحدّ؟!

قال الشيخُ الحكيم:

– إذا نظرت إلى العناوين والألفاظ فلا، وإذا نظرت إلى الْمَضامين والأعمال فنعم. الإسلام في حياتنا غريب طريد ، نهتف بعنوانه وشعاراته كلّ يوم ، ولكننا نَنْحَرُه نَحْراً قاسياً دون رحمة أو شفقة أو خوف من الله أو حياء من الناس.. في كلّ ساعة وفي كلّ ساحة وفي كلّ موقف.

قال التلميذ الناشئ:

– إنّها لصورة مخيفة هذه التي ترسمها، وإنّه لتناقض مرعب هذا الذي تشير إليه.

قال الشيخُ الحكيم :

– إنّه شيءٌ مخيف مرعب؛ ولكنّه حقّ مع الأسف الشديد.

وانظر إلى واقع كثير ممّن تصادفهم وتتعامل معهم وتضعهم على محكّ التجربة من المنتسبين إلى الإسلام والعمل الإسلامي.. ثمّ قل لي: ماذا ترى؟

هل تبصر من خلال المعاملة والتجربة والزّمن الضروريّ لانكشاف الحقائق ، ما يَدَّعُونه من المحبّة والأخوّة الصادقة والإخلاص والتجرّد واستقامة النهج، وهل تجد نماذج كثيرة للمسلم التقيّ الملتزم بأحكام الشرع وأخلاقه وآدابه في معاملاته وتصرّفاته وعلاقاته؛ أم تَبْرُزُ لك في أحيانٍ كثيرة صورٌ مفاجئة مغايرة أو مناقضة لما كنت تتوقّع، تصدمك، وتحطّم أحلامك وآمالك، كما تحطّم الصخرةُ تَبْرُزُ في الطريق على غير انتظار أجسادَ من يصطدمون بها من الناس.

إنّنا يا بنيّ نرفع شعارات الإسلام العظيم ، ولكنّنا نعيش –إلى حدّ كبير– في بعض جوانب حياتنا الفرديّة ، وعلاقاتنا الاجتماعيّة ، وتحرّكاتنا الجماعيّة ، الجاهليّةَ وبواعثَها ومطالبَها وأهدافَها وأخلاقَها.. ولا نكادُ نُهْمِل منها إلاّ شهامتَها ورجولتَها وكرمَها وشجاعتَها.. وهذا سرٌّ من أسرار انحرافنا وانحطاطنا وفشلنا وهزائمنا المتكرّرة وبلاء الإسلام بنا على كلّ صعيد.

إنّ عللنا الكبرى في أنفسنا ، ومصائبَنا الكبرى إنّما تأتي بالدرجة الأولى من داخلنا قبل أن تأتي من أيّ مصدر خارجي.

قال التلميذ الناشئ:

– فما العمل؟

قال الشيخُ الحكيم :

– أن نضع أيدينا على عللنا وجراحاتنا بوعي وشجاعة وصدق وأمانة وإخلاص ، وأن نغيّر ما بأنفسنا حتّى يغيّر الله ما بنا ، وأن نلتزم بما علمناه وفهمناه ووعيناه من الإسلام كما أنزله الله عزَّ وجلَّ ، التزاماً حقيقيّاً صادقاً ؛ بباطننا وظاهرنا ، وقولنا وعملنا ، في مختلف مواقفنا ، وعلاقاتنا ، ومجالات حياتنا..

هذا يا بنيّ هو أوّل الطريق لكل ما نرجوه من الخير لأنفسنا وللإسلام والمسلمين في هذا العالم والعصر.

هل يتدبَّرون هذا الوعيد؟..

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم :

– أَلَيْسَ عجيباً أمرُ بعضِ رُعاةِ المسلمين الذين يبنون في أنحاء الدنيا قصوراً لا يسكنونَها ، ولا يزورونها ، بل لا يروْنها مجرّدَ رؤيةٍ في بعض الأحيان ، ويُنْفِقون في ذلك الملايينَ وعشراتِ الملايينِ ومئاتِ الملايين.. ومن المسلمين مَنْ لا يجدُ كوخاً يُؤْويه ، أو خَيْمةً تستُرُه ، أو أيَّ موضعٍ يضعُ جنبَه عليه حتّى بالعراء بين الأحياء ، فيأوي إلى مراقد الموتى.. ألا يخافُ هؤلاء اللّهَ عزَّ وجلَّ أو يستحون منه؟

قال الشيخُ الحكيم :

– لو أنّهم خافوا أو استحوْا أو شعروا أو فكّروا أو وجدوا الناصحَ الأمين الذي يأمرُ بالمعروف وينهى عن المنكر ، لَما فعلوا ما فعلوا ، أو لَراجعوا فيه أنفسَهم ، وثابوا فيه إلى رُشْدهم ، فاتّقوْا بذلك عذابَ الدنيا والآخرة

في أقلَّ كثيراً ممّا فعلَه ويفعلُه هؤلاء –يا بُنَيّ– نزلَ قولُ الله تعالى في سورة الشعراء:

﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ۞ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ۞ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ

جَبَّارِينَ ﴾[8] [128-130]

وبيّن اللّهُ تعالى في هذه السورة أن عاقبةَ الإصرارِ على هذا وأمثاله الهلاك

قال التلميذُ الناشئ:

– لو كنتُ واحداً من هؤلاء لَصَعَقَني هذا الوعيد..

وما فائدةُ من يُعْمِرُ دنياه الفانيةَ الزائلة بما لا يحتاج إليه، إذا خان أمانتَه، وأخْرَبَ آخرتَه، وجرَّ على نفسه غضبَ الله، وما أَوْعَد به من العذاب؟!

القلوبُ والأعمال.. لا الصورُ والأموال

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم :

– هل أقولُ لك ما شعرتُ به في أعماق نفسي، عندما زارك أَمْسِ ذلكَ العاملُ الفقيرُ البسيط، يحملُ معه بعضَ حَبّاتِ عَرَقِه وقَلْبِه مَبْلَغاً طيّباً من المال لجهةٍ تعرفُها من جهاتِ الخير؟

قال الشيخُ الحكيم :

– قلْ ولا تخفْ، فقد آن لنا أن نمتلك من الثقةِ والجرأةِ ما يمكّنُنا من التعبير الصادق عن أنفسِنا وأفكارِنا بالشكل المناسب، دونَ خوفٍ من أحد، أو نظرٍ إلاّ لمرضاة اللهِ وسَخَطِ الله

قال التلميذُ الناشئ:

---

(8) الرِيعُ: المرتفعُ من الأرض أو الطريق
آية: معجزة من معجزات البناء، تلفت الأنظار، وتكون علامةً على مالكم وسلطانكم، وما تملكونه من أسباب الترفِ والسرَفِ والعُلُوِّ في الأرض
تعبثون: أي لغير حاجة ولا فائدة ولا هدف مشروع إلاّ التفاخر الأجوف وحبّ الشهوات الذي لا يقف عند حدّ
المصانع: المباني من القصور والحصون وأحواض المياه، وأشباه ذلك
لعلّكم تخلدون: أيّ كأنكم خالدون في الدنيا، ولستم بخالدين
بطشتم: أخذتم بشدّة وعنف، دون تثبّت، ولا شفقة، ولا عفو
جبّارين: قساةً عتاة متسلّطين ظالمين، لا تدخل قلوبكم الرحمة، ولا تؤثّر فيكم الموعظة

– لقد شعرتُ بأنّ ذلك العاملَ البسيطَ الفقيرَ الرثَّ الْهَيْئَة، المستَصْغَرَ الشأنِ، الذي يَزْوَرُّ عنه الناس.. أكبرُ في نفسي، وأكرمُ ألفَ مَرَّةٍ، من بعض أصحابِ المظاهرِ الفخمةِ ، والثرواتِ الضخمة ، والمنـــزلةِ الرفيعة، والْحُظْوةِ الكبيرة، وقد خَلَتْ قلوبُهم من أيِّ شعورٍ بالمسؤوليّة، أو المشاركةِ الوجدانيّة، وانقبضت أيديهم عن أيِّ عملٍ خالصٍ من أعمال الخير

قال الشيخُ الحكيم :

– وماذا كان يخيفُك من هذا الكلام ، أو يجعلُك تتردّدُ أقلَّ تردُّدٍ فيه؟!

لقد أصبتَ فيما شعرتَ به وقلتَه مَفْصِلَ الحقّ، وما اختاره اللّهُ ربُّ العالمين:

« **إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ** »[9] كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم

ومن هذه القلوبِ الطاهرةِ الشاعرة ، والجباهِ الندِيّةِ بعَرَفِ الكفاح ، والإرادةِ المصمّمةِ على أداء الواجب، والصبرِ الجميلِ على مشقّاتِ العملِ والجهاد، والتضحياتِ المتواصلةِ في سبيل اللهِ عزَّ وجلَّ.. يولدُ الفجرُ الجديد ، والمستقبلُ الإسلاميّ المنشود

(9) رواه مسلم والإمام أحمد.